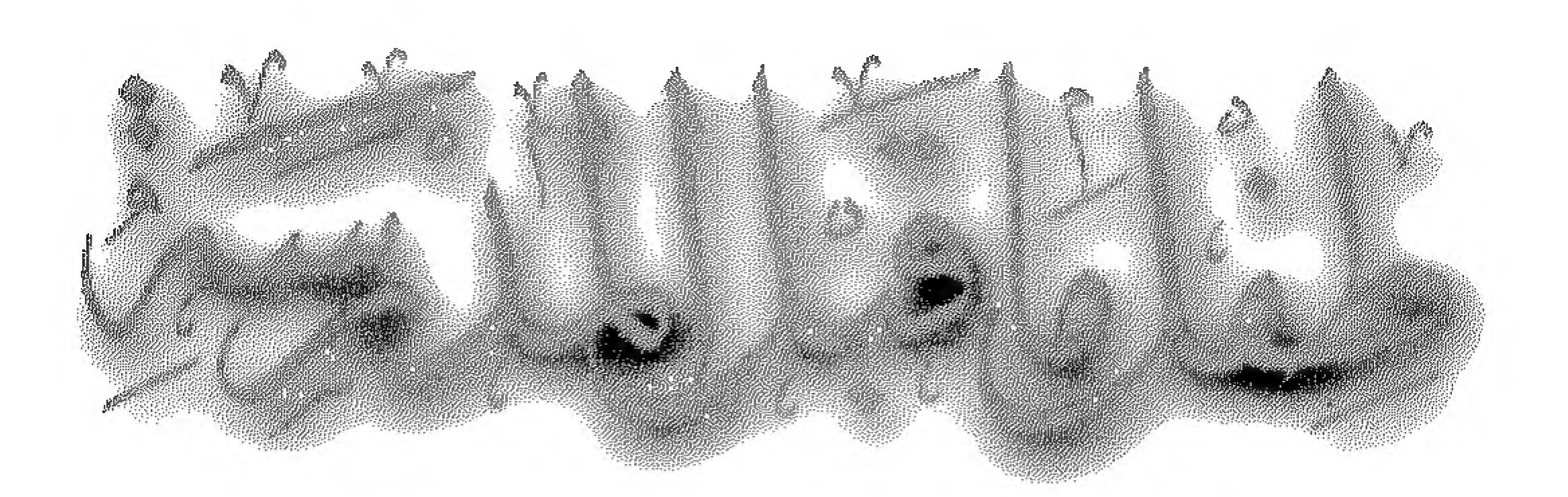
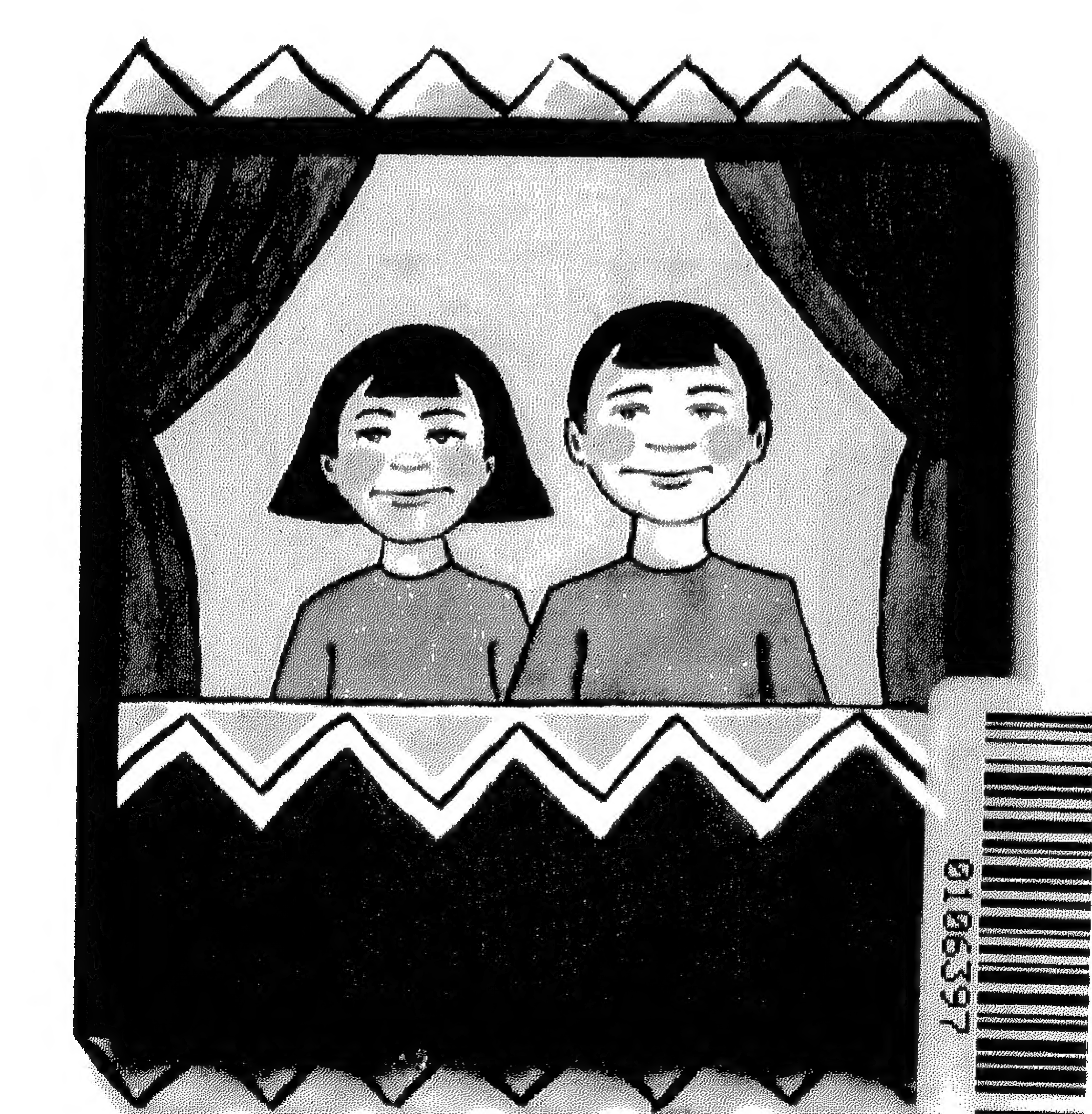
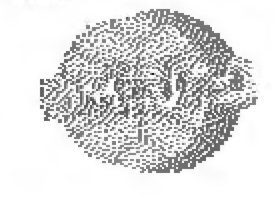


أدبه الشفاهي والمكتوب

عبد التواب يوسف




الدار المصرية اللبنانية


Bibliotheca Alexandrina
0106397

طفل ما قبل المدرسة

الناشر : **الدار المصرية اللبنانية**
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ١٩٩٨/٨٨٦٨
الترقيم الدولى: 8 - 449 - 270 - 977
تجهيزات فنية : ار ـ تك
العنوان: ٤ ش بنى كعب ـ متفرع من السودان
تليفون: ٣١٤٣٦٣٢
طبع : **المطبعة الفنية**
العنوان: ٢٢ شارع الشقفاتية ـ متفرع من الساحة ـ عابدين
تليفون: ٣٩١١٨٦٢
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى: ربيع أول ١٤١٩ هـ ـ يونيو ١٩٩٨م
تصميم الغلاف الفنان: **وائل حمدان**

طفل ما قبل المدرسة

أدبه الشفاهي والمكتوب

عبد التواب يوسف

الناشر
الدار المصرية اللبنانية


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحتاج لكى نطرح هذا الموضوع للدراسة أن نحدد بداية فى إيجاز وتركيز: ماذا نعنى بعبارة «أدب الأطفال»؟ ثم: مَنْ هو «طفل ما قبل المدرسة»؟ من أجل أن تتضح كافة جوانب هذا الموضوع الحيوى، الذى يسهم بشكل كبير فى تربية أبنائنا.

الأدب فى أبسط تعاريفه هو: وقع الوجود على الوجدان مُعَبَّرًا عنه بالكلمة، شفاهية أو مكتوبة، مُصَاغًا فى قوالب فنية، لها معاييرها، ومن أجل أن يكون أكثر تأثيراً تصحبه الصور، مرسومة بالكلمات أو الريشة.

وطفل ما قبل المدرسة محب للأدب، يحبه شفاهًا، ومرسومًا، ومرْويًا عليه، أو مقروءًا له، وهو يستمتع به، ويتلقاه فى فرحة وبهجة، ليثرى وجدانه، ويوسّع خياله، ويثرى لغته، ويزيد معارفه بالناس والدنيا من حوله.

وتستهدف هذه الدراسة توضيح ألوان أدب الأطفال لهذه المرحلة، وذلك بمعناه الخاص، وتخرج عنه المعرفة والمعلومات، وسوف نتوقف عند النثر متمثلاً فى القصص والحكايات، والشعر: قصيدة،

وأنشودة وأغنية. . وسنتحدث عن الوسائل التى يمكننا من خلالها إيصال هذا الأدب للصغير. . وهو قد يصل إليه بطريق مباشر من خلال الآباء والمربيات، حين يروون له الحكايات والأشعار، أو يقرءونها عليه. . وربما يجد الأدب سبيله إليهم عن طريق الكتاب أو المجلة، والإذاعة أو التليفزيون، والمسرح أو السينما. . بجانب لُعَب الأطفال وألعابهم، عصرية وشعبية، وصولاً إلى طفلٍ يدلف إلى المرحلة الابتدائية وقد استعد تمامًا للمدرسة.

وأدب طفل ما قبل المدرسة يتصل اتصالاً مباشرًا باللغة المنطوقة، والثروة اللغوية وتنميتها، لما لذلك من أهمية فى التفكير والتعبير، ونشعر أن أطفالنا ـ مع عميق الأسف ـ قَلَّما يستطيعون أن يعبروا عن أنفسهم بطلاقة، ويرجع ذلك إلى نقص شديد فى الفكر لديهم، فالقَصَص الذهنى قلَّما يُستخدم معهم كما أننا نحبطهم ولا نشجعهم على التحدث فى حرية وصراحة. . فضلاً عن أن محصولهم اللغوى غاية فى الضآلة، وتنمية هذا المحصول يعتمد إلى حدٍ كبير على الأدب، وبالذات الشفاهى منه.

وهناك دراسات حول حصيلة طفل ما قبل المدرسة من الكلمات. . وقاموس الطفل واسع فيما يسمعه ويفهمه، وهو قليل ضيق حين يُعَبِّرُ به عن نفسه، والمحاولات مستمرة ودَءُوبة فى هذا الصدد، وقد أجرتها مجموعة «افتح يا سمسم» فى الكويت وتونس ومصر، كما رصَدَها كثيرون، من بينهم د. محمد محمود رضوان،

و د. ليلى كرم الدين ـ مصر ـ وأيضًا د. أحمد عويدات ـ الأردن ـ وذلك لكى نخاطبه وفق قاموسه الصغير، باذلين الجهد من أجل أن يتعرف على الفحص، من خلال مخاطبته بها، والقراءة له من أعمال مكتوبة ببساطة، وتصلح له.. ومن هنا فإنَّ لأدب الأطفال مهمة تعليمية كبيرة فى هذا الصدد، جنبًا إلى جَنْبِ توسيعِ آفاقه، وإثراء وجدانه، وزيادة خبراته، وصقل ذهنه، فضلاً عن إمتاعه.

وطفل ما قبل المدرسة يلقى العناية قبل زواج الأبوين، من حُسْنِ اختيار كُلٍّ منهما للآخر، فإن العِرْق دَسَّاس، وعلم الوراثة شاهد بذلك.. ثم رعاية هذا الطفل الجنين الذى لم يُولد بعد، والذى تضعه أمه وترضعه وترعاه، وقد تبعث به إلى دار الحضانة وإلى رياض الأطفال ـ وهى ليست بمدارس، بل تُعدّه للمدرسة ـ ومن هنا تطلق على هذا الصغير: «طفل ما قبل المدرسة»، وهو لا يلتحق بالمدارس عادةً إلاّ فى سن السادسة، وربما قبلها أو بعدها بقليل.. ودائمًا ننصح الآباء بألاّ يتعجلوا إلحاق أبنائهم بالمدرسة إلاّ فى هذه السن، لأنها السن المناسبة لنموهم الجسمى والعقلى.

والمكتبات حافلة بأدبيات كثيرة حول هذه المرحلة العمرية، التى قيل إن نسبة تقترب من ٨٠٪ من الذكاء يتم تشكيلها خلالها، الأمر الذى يجعلنا نمنحها كل اهتمامنا، ولذلك تجرى أبحاث ميدانية عدة لرصد واقعها فى أرجاء وطننا العربى، وهناك محاولات جادة لتحليل هذا الواقع، للانطلاق منه نحو توجهات تأخذ بأطفال

هذه المرحلة إلى المدرسة، وقد اكتملت مراحل نموهم جسمانيًا وعقلانيًا، وصاروا قادرين على استيعاب ما يتلقون من معارف ومعلومات وخبرات.

هذا، وسيقتصر عرضنا فى هذه الدراسة على الأجناس الأدبية الصالحة لطفل ما قبل المدرسة، من قصة، وقصيدة، وأغنية، وعلى وسائل الوصول بها إليه، من خلال المجلة والكتاب، والإذاعة المسموعة والمرئية، ثم المسرح.. متنبهين إلى أن الموضوع الرئيسى والأساسى هو «أدب الأطفال».. ونؤكد على حقيقة أنه وحده: مادة كافية، وموضوع مهم، وليس مجرد وسيلة تلقينية تعليمية، بل هو موازٍ للتعليم، وله نفس قَدْره ومكانته، وليس ذلك من قبيل الحماسة لهذا الأدب، ولكن لأن هذه هى قناعتنا، كثمرة لتجربة طويلة مع هذا الأدب على المستوى العالمى والعربى والوطنى... إن عبور الطفل لمرحلة ما قبل المدرسة دون اتصال حقيقى بأدب الأطفال سوف يفقده الكثير، مِمَّا يؤثر عليه سلبًا فى المستقبل.

عبد التواب يوسف

كتب الأطفال و مجلاتهم
لسن ما قبل السادسة

كتب الأطفال ومجلاتهم لسن ما قبل السادسة

تستهدف الكتب الموضوعة لهذه المرحلة تعليم الأطفال القراءة، وربما الكتابة أيضًا، كما أنها تحفل بأدبيات المعرفة، وقلّما تتجه إلى «الأدب» اللهم إلاّ إذا كانت موجهة إلى الكبار من أجل قراءتها عليهم، أو الاستعانة بها لرواية القصص والحكايات لهم.. وقد تتناول بعض الكتب الصادرة للأطفال أنفسهم بعض جوانب أدبية بشكلٍ أو بآخر.

وهناك تقسيم استقر عليه الغرب بالنسبة لكتب الأطفال، هناك الجانب القصصى Ficion، وهناك الجانب غير القصصى Non - Ficion.

وهذا الأخير من الأدبيات الخاصة بالطفولة، وصلتها باللغة وثيقة، وعلاقتها بأدب الأطفال متواضعة، فيما يتعلق بأطفال ما قبل السادسة.. لكنَّ المجلة والكتاب وسيطان فى منتهى الأهمية بالنسبة لأدب الأطفال، حكاية وقصة، شعرًا وأغنية، ومن هنا تأتى أهمية التركيز عليهما كوسيلة من وسائل إيصال الأدب إليهم.

وربما كانت المجلات القليلة الصادرة لهذه المرحلة العمرية مهتمة

بالحكايات المرسومة، و«السيناريوهات» المعتمدة على الصورة، بقدر ما هى مهتمة بتعليم المهارات.. ومن بين هذه المجلات مجلة «افتح يا سمسم» الأمريكية، وهناك ملاحق داخل مجلات الأطفال تتجه لهذه السن.

ومن الضرورى عقد صلة حب وصداقة ما بين طفل هذه المرحلة وما بين الكتاب، وهو لايزال فى عربته وقبل أن تحمله قدماه، وأن يستمر ذلك وهو فى المهد، ومن المهم أن يصبح الكتاب شيئًا حبيبًا، أثيرًا لديه، يمسك به، ويضمه لصدره ـ كأنه دُبَّة الصغير ولُعبته المفضلة ـ ويقلب فيه، ويتطلع إليه، ويتشمّمه، ويحافظ عليه، لكى تألفه عيناه، وتبقى هذه العلاقة على مدى العمر كله.. إنه يفتحه، ويرى صوره، ويتعرف عليها، ويستمتع بألوانها الجذَّابة، ويفرح باكتشافه لعالم الكتاب، وأيضًا للعالم من خلال الكتاب.

ولقد تفنّن العالم فى «صناعة» الكتب لهذه السن، فقد جعلها من مواد مختلفة، تبقى وتتحمل، وتعيش.. هناك كتب من «القماش» يمكن غسلها وكيُّها.. وهناك كتب من رقائق البلاستيك والخشب.. وهناك كتب من الورق المقوّى.. وهناك كتب من مواد مطاطية يمكنه أن يصطحبها معه فى حوض الاستحمام.. وهدف هذه الكتب أن يحسّ بها من حوله، أينما توجَّه ببصره، وأن تمتلىء بها دنياه، وأن ترافقه فى فراشه وخلال كل ساعات يومه، وأينما ذهب، وأينما وجد.. هى لا تغادره قط ولا يغادرها.

ويجدر بنا تقديم «الكتاب» الملوّن - بالرسوم والصور - للطفل قبل دخول المدرسة، وهو كتاب غلافه مقوّى، أو عادى، وورقه سميك، وصولاً إلى كتاب بسيط، نُدربّه على الحرص عليه وصيانته، ومن المهم ألاّ تمتد يده إليه بالتمزيق، إذ هو يحبه، ويشعر بشيء ما ينقصه إذا غاب عنه، أو أتلفه.. وإذا لم يجده افتقده.

ونحن نناشد الأسرة أن تلفت نظر هذا الصغير إلى أن تكون لديه «مكتبة».. قد تكون لديه لعب كثيرة، وتشكيلة منوّعة منها، وبنفس القدر يحتاج إلى مكتبة فى ارتفاع قامته، وبها عدة رفوف، يضع من فوقها ثروته الغالية من الكتب.. ومن المهم أن يكون من بينها قاموس صغير ملوّن.. وأيضًا دائرة معارف بسيطة (يمكن مراجعة «دائرة المعارف الصغرى للتلوين» التى أصدرتها الدار المصرية اللبنانية فى ١٥ جزءًا، تحت العناوين التالية: الألعاب الرياضية - الإنسان - الحيوان - النبات - المواصلات - الفضاء والكون - الملابس - المخترعات - الحكايات - الجمال والفن - السيرك - الشعائر الدينية - المهن - البيوت - أعلام الدول).. إنها محاولة لتقديم المعرفة فى عصر انفجار المعرفة.. وهناك ورقتان مصمغتان، ينتزع منهما الصغير ملصقات يضعها فى أماكنها من صفحات الموسوعة، وكل جزء فى ٢٨ صفحة، وكل صفحة عبارة عن لوحة يقوم الطفل بتلوينها نقلاً عن الصورة الملصقة، وهى مرتبة وفق

الحروف الأبجدية، وتضم معلومات تقرؤها الأم وتنقلها لطفلها، كما تحتوى على عناوين لقصص مشهورة تستطيع الأم أن تحكيها له.

إن هناك مَنْ يتفننون فى ابتكار الكتب بأفكار مبهرة لأطفال هذا العمر، وتخصص كثيرون فى تقديم ما يلائمهم: مادةً وموضوعًا، شكلاً ومضمونًا.. بل هناك دور نشر تقصر جهدها على هؤلاء فقط، حتى لقد أصبحت لهم «مكتبة»، نستطيع أن نقول فى ثقة إنها «متكاملة».. وفى مقدمة الذين اشتهروا عالميًا فى هذا المضمار الرسام الهولندى العالمى: «ديك برونا» Dick Brouna.

وكُتب هذه المرحلة - شأنها شأن كل كتب الأطفال - بعضها تعليمى، يتضمن أدبيات ومعارف، وبعضها الآخر أدب للأطفال يحتوى على قصص وحكايات، وقصائد وأشعار، أو أناشيد وأغنيات، ولن نتوقف طويلاً عند النوع الأول الذى يدور حول تعليم الأطفال الحروف الأبجدية والأرقام فى غالب الأحيان، اللهمَّ إلاّ إذا اتخذ ذلك أسلوبًا أدبيًا، كالمحاولات الشعرية لمحمد الهراوى حول تعلم الحروف:

أبى امتحِنّى يا أبِـــــى ∴ فى أحْرُفِ الهجـــــاء
فإنــــنى أعرفُهـــــا ∴ من ألــف إلى يـــاء
وأنت فى أولهـــــا ∴ من ألــف وبـــاء

وهذا مدخل طيب للشعر خاصة، والأدب عامة.. وهناك محاولات قصصية شعرية لابد أن نشير إليها فى هذا المجال، من بينها ما قاله الهراوى نفسه:

حيلـــــــة

رمى غــــلام بالكـــــُرة	فاقتربتْ مِنْ شَجَـــــره
وكان مربوطًا بهــــــــا	كلبٌ يخــاف ضَــــررَهْ
فدار حول جِذْعهــــــا	والكلب يَقْفــُو أثــــرَهْ
فقصر الحبــلُ بـــــه	وعاد يأخــذ الكــــُرَهْ

---

١ ـ الكُتب المصوّرة:

هى لون من الكتب لم ننتجها عربيًا إلاّ فى أضيق نطاق، ويخلط كثيرون بينها وبين الكتب المرسومة، لأن كليهما يتضمن رسومًا.. كما يظنونها الكتب التى تحوى صوراً فتوغرافية.. لكن حقيقتها تختلف عن هذه وتلك اختلافًا جذريًا، وهى تصدر بالمئات فى لغات مختلفة، ويربو ما صدر منها على عشرة آلاف كتاب، منذ بدأت هذا الاتجاه الكاتبة الأمريكية ـ من أصل صينى ـ «واندا جاج» عام ١٩٢٨م بكتابها «ملايين القطط».

والكتب المصوّرة تعنى تلك الكتب التى يتداخل فيها النص مع

الرسم ويمتزجان بشكل يجعل الفصل بينهما مستحيلاً، وقراءة الكتاب دون ربط الكلمات بالرسوم غير ممكنة، بل تصبح هذه الكلمات غير مفهومة وبلا معنى.. والقصة لا تفهم من الرسم وحده، إذ الكتابة والرسم معًا ملتحمان، لا يفترقان، وإذا افترقا لم يعد لكل منهما على حدة قيمة.

وهناك دراسات مستفيضة حول هذا اللون من الكتب التى يتصور بعض الناس أنها تصلح فقط لسن ما قبل المدرسة، مع أن بعضها يلائم أعمارًا أكبر، ويقدم مضامين غاية فى العمق والصعوبة.. وقد برز فى هذا الاتجاه الكاتب الأمريكى - من أصل إيطالى - ليو ليونينى Leo Lionini.. وهَاكَ نموذج ألمانى لحكايه بسيطة:

«طلب الصغير من أمه ألاّ تذهب إلى عملها، وعندما أَلَحَّ عليها اضطرت لأن تَقْبَل.. وبعد قليل سألها أن يخرجا معًا.. لكن مفاجأة كانت تنتظره.. لم يجدا ترامًا أو سيارة يركبانها، لأن كُلَّ الآباء والأمهات ظلّوا فى البيوت استجابةً لطلب أبنائهم.. ولم يجدا بائعة المثلجات والحلوى، وكذلك أُغلقت نوافذ بيع تذاكر دور السينما والمسرح، و... ، واضطرا للعودة للبيت، وعندما حاول الصغير أن يرى برامجه فوجىء بأنها لم تُبَثّ، لأن المذيعة بقيت فى بيتها بجانب ابنها، وبذلك تعطّل العمل والإنتاج.. فى اليوم التالى يسأل الصغير أمه أن تذهب إلى عملها».

لم يكن من الصعب على الرسام التعبير عن ذلك كله بواسطة

شريط من الصور المتتابعة المرسومة.. وهذا الشريط استُخدم أيضًا في قصة خروف لا يحب الاستحمام، فصارت رائحته كريهة، إلى حد أن الجميع كانوا يبتعدون عنه بأنوفهم عندما يأتى إليهم ليسألهم أن يلعبوا معه.. رفض ذلك الحصان، والكلب، والقط، والعنزة، و...، و... وعندما نزل المطر وأخذ الخروف حمامًا وأصبح نظيفًا لم يتأخر أحد عن الاستجابه له واللعب معه.

ولعل نموذج «دكتور سوس» الأمريكى جدير بالملاحظة، بل أدعو إلى تقليده، إذ يقدم قصصًا منظومًا موقَّعًا، مع رسوم بهيجة، وتُعد كتبه من أوسع الكتب المصوّرة انتشاراً فى العالم.

ونموذج آخر للكاتب «تومى دى باولا» يستحق أن نتوقف عنده طويلا، وهو يروى قصة علاقة حميمه بين صغير وجَدِّه.. الجدّ يدربه على أن يقف على قدميه، ويستند إليه ليتعلم المشى، ثم يُعينه على أن يتخطى عتبة البيت، ثم هو أيضًا يعلّمه كيف ينطق الكلمات، بل كيف ينطقها صحيحة سليمة، وكيف يُكَوِّنُ منها جُمَلاً مفيدة.. ويعود الصغير من الروضه يومًا فلا يجد جدّه الذى نقلوه إلى المستشفى، ورفضوا أن يأخذوا الصغير لزيارته، فالعجوز مُصاب بالشلل، وغير قادر على أن يتحرك أو يتكلم، كما أنه لن يتعرف على حفيده.. ويتألم الصغير، ويزداد ألمه حين يعيدون الجدّ إلى البيت، وينبّهون عليه ألاّ يدخل إلى غرفته أبداً.. لكن الصغير كان واثقًا من أن جَدَّهُ يعرفه مِنْ تبادل النظرات بينهما، وراح

الصغير يتسلل إلى غرفته، ليدربه على نطق الكلمات، بل ليساعده على أن ينزل من فراشه ويخطو خطوات قصيرة، ونرى صورة أخيرة لهما يتنزهان معًا فى حديقة البيت.

إن الكتب المصوّرة فن يجب أن نقتحمه ونُقبل عليه، ونقدمه لأطفالنا، برغم ما يتصوره البعض من ارتفاع تكلفته وغلو ثمنه، إلاّ أن مردوده يحتم علينا ضرورة الإقدام على نشره بصورة أكبر على الرغم من قلة الدراسات العربية حوله، كذلك لابد من ورشة عمل لتدريب الكُتّابِ والمؤلفين والرسامين على إنتاجه.

٢ ـ الكوميكس:

وهى مجموعة من الرسوم المتتابعة واحدة بعد الأخرى، يستطيع الطفل من خلالها أن يستمتع بقصة متكاملة، وقد تخلو تمامًا من الكلمات، اعتماداً على قُدرة الطفل على قراءة الصور، وقد تحتوى على بعض الكلمات والعبارات التى يستطيع قراءتها، أو تُقرأ عليه.. ويعتمد هذا اللون من الكتب على تدرب الطفل على إدراك الكثير من السياق المروى، وربما كُتب الحوار داخل ما يجرى وما يحدث من متابعة الرسوم.

وهناك بعض من يترجم الكلمة إلى «هزليات»، لكنها فى الواقع ترجمة مخلّة بالمعنى الأساسى لهذا اللون من القصص المنشورة فى المجلات، التى ربما تكون بالكامل مخصصة له، وما من مجلة

معاصرة إلاّ وتضم فى بعض صفحاتها هذه «السيناريوهات»، وهناك كتب أيضًا تحتويها، أو تضع جانبًا منها اجتذابًا لمحبيها من الأطفال.. وهذه الأعمال تدرب الأطفال على «قراءة» الصورة، وهو أمر مطلوب.. وينتقد بعض المتخصصين هذا اللون.. وتشير «نانسى لارك» فى كتابها عن كتب الأطفال أن أُمَّهَات كثيرات يَفْخَرْنَ بأن أبناءهن لا يَقْرَءُون هذا اللون من الأعمال، فى حين يُخفى هؤلاء الأطفال أعدادًا كثيرة تحت الوسادة فى البيت، وفى مكاتبهم بالمدرسة.. والكلمة «سيناريو» مأخوذه عن فعل الرؤية بالإنجليزية (See) .

وهناك إيجابيات لهذا اللون من الأعمال الفنية، لكن السلبيات التى تصاحبه كثيرة، من بينها أنه يعتمد اعتمادًا كبيرًا على الإثارة ممَّا يُحْدِثُ توترًا لقرائه، قد يرى البعض - ونحن منهم - أنه ليس مِن الضَرورة فى شىء فى هذه السن المبكرة، ويكفى حب الاستطلاع الذى لديه لنشبعه بوسائل أكثر جاذبية، وأهدأ أسلوبًا.. والرسامون يعتمدون على «الكاريكاتير» غالبًا حين يرسمون هذه الأعمال، بما فيها من مبالغات، ربما لا تكون مناسبة للمرحلة العمرية المبكرة.. وقد نجح بعضهم فى رسم كتب أدبية شهيرة ومرموقة - منها كلاسيكيات عالمية - بهذا الأسلوب، ولقيت بعض النجاح، إلى حد أنه قد صدر منها مايقرب من خمسمائة عمل، وحاولت إحدى دور النشر العربية ترجمتها وإصدارها، إلاّ أنها لم تلقَ ماهى جديرة به من إقبال.

ونحن نُزكى هذا اللون من الأعمال إذا ما أُتقنت كتابته ورسومه، واتّخذ من موضوعاتنا وبيئاتنا مادة له، لأن الاعتماد على الغربى منه يسىء إلى أطفالنا، لما يحمله من أمور تخالف قيمنا ومبادئنا، وتزرع في نفوسهم أفكاراً لا نرتضيها لهم، لذلك نناشد المجلات والكتب التى تختار هذا الأسلوب أن تتجه به إلى أعمال عربية، مكتوبة فى صورة «سيناريو» عن قصص لنا، وحكايات من تراثنا، وهو غنى بما هو صالح لذلك إذا أُحسن اختياره.

٣ - كتب التلوين:

وهى منتشره على نطاق واسع، وهى قد تقدم حكاية شعبية أو مؤلفة ومعروفة، ومن خلال ممارسة الصغير لعملية التلوين يزداد معرفه بالحكاية، وإلمامًا بأطرافها، كما أنه سيتنبه إلى أبطالها وشخصياتها، والعلاقات القائمة بينها، وصولاً إلى فهم الحكاية واستيعابها.

وكتب التلوين تصدر أحيانًا بصورة عشوائية، فى حين أنها فى أمَسِّ الحاجة إلى أن تكون مدخلاً لتدريب الأطفال على التناسق بين الألوان، والإحاطة بها، وتذوقها.. وهناك بعض من يرفض هذا النوع من الكتب، على أساس أنه يرهق أصابع الأطفال، التى لم تحصل بعد على النمو الكافى لاستخدامها بدقة فى عملية التلوين، ويحس آخرون أنه بحاجة أشد إلى الانطلاق بدون هذه الحدود المرسومة، لكيلا يتخطاها أثناء التلوين.. ونحن لسنا ضدها، إذا ما

أحسنَّا استخدامها، بأن نروى القصة المرسومة (أبيض وأسود)، ونترك للصغير حرية اختيار الألوان بما يتناسب مع ما رويناه، كما أنه لابد لنا بألاّ نغضب إذا هو لم يتقن التلوين، وليكن الأمر مجرد لُعبة يمارسها باستمتاع لا أكثر ولا أقل، مؤكدين على القصة التى رويت، واكتفاءً بها، خاصةً إذا ما كانت من «الكلاسيكيات» العالمية، أو الآداب الشعبية.

وهناك سلسلة «الفنان الصغير» وهى فى ثلاثة كتب تحكى قصص «إيسوب»، ومرسومة بطريقة الحفر على الخشب، وأصدرتها الدار المصرية اللبنانية، لتروى لهم، ولتلوينها، وتضم قرابة الخمسين حكاية، لا تتجاوز الحكاية منها خمسين كلمة، واللوحات على مستوى رفيع، عمرها يزيد على عدة قرون.. إن هذه السلسلة نموذج للعمل الأدبى والفنى، حين يجتمعان معًا فى ضفيرة تثرى وجدان الطفل وخياله، وتفتح أمامه آفاقًا واسعة.

وكتب التلوين ـ التى تضم قصصًا تمتلىء بها الأسواق العربية، وإن كان أغلبها قصصًا أجنبيًا، وكذلك الرسوم.. البيوت فيها ليس لها أسقف بيوتنا، وكل ملامح الوجوه غربية، أشخاصها زُرق العيون، صُفر الشعر، مِمَّا يبعد طفلنا عن بيئته.. وليت هذه الكتب تكون نابعة مِمَّا عندنا، ولدينا فى وطننا العربى مهرجان ألوان يتمثل فى الطبيعة والأزياء الشعبية، وما إلى ذلك.

٤ ـ كتب (المتاهات):

وكثيرون يسمونها «اللابرنت»، نسبة إلى قصر «اللابرنت» الذى بناه قدماء المصريين فى الفيوم من ألف غرفه فوق الأرض، ومثلها تحت الأرض ـ كما يقولون ـ وكان مَنْ يدخله يضل ويتوه بين قاعاته وممراته وحجراته.. ومن هنا اتخذوا هذا الاسم للعبة المتاهات، التى يمسك فيها الصغير بقلمه الرصاص، ويساعد «على بابا» مثلاً فى الوصول إلى «الكنز»، وسط ممرات عديدة، قد يضل السبيل فيها إذا نحن لم نساعده، إذ تمتلىء بالسدود والعقبات والمنعطفات.

ونموذج لهذا اللون المتميز قدمته دار ثقافة الأطفال فى بغداد لعدد من «الكلاسيكيات» العربية والعالمية، تحت عنوان: «أجمل حكايات الأطفال فى العالم».. وتقرأ الأم الحكاية لطفلها، أو ترويها بأسلوبها، وتطلب إليه أن يصل بين البطل وبين هدفه.

والأطفال يحبون هذه الأعمال التى تتيح لهم تحقيق نجاح مَّا، لأن الحاجة إلى الإنجاز واحدة من أهم احتياجاتهم، فضلاً عن تدريب الصغير على تخطِّى العقبات ـ مادية ومعنوية ـ والتحلى بالصبر، إلى أن يتم له ما يريده.. وقد تفنّن رسامون عالميون فى إبداع هذه المتاهات للأعمال الأدبية العالمية الشهيرة، التى يحاولون إيصالها للصغار فى سن مبكرة، والإلحاح بها، إلى أن تتم لهم قراءتها فى فترة لاحقة.

٥ ـ قصص اللعب والألعاب
(فى مجال أدب الأطفال) :

قد يتصور البعض أن موضوع الألعاب واللعب مقحمٌ هنا، ونحن نتحدث عن الأدب، ومِمَّا لا شك فيه أن للطفل حقًّا لا يُنازع عليه، وهو حقه فى أن «يلعب»، وقد حَظِىَ اللعبُ بدراسات شتى، خاصة فيما يتعلق بـ «اللعب والتعلم»، لكنَّ هناك قصصًا حركيًّا، قد يكون نثرًا، وقد يكون شعرًا وأغنيات، كما أن بعض الكتّاب اتخذوا من اللعبة مدخلاً إلى عالم أدبى بالغ الروعة والجمال، ومن هنا رأينا ضرورة تناول هذا اللون.

والقصص الحركية تناولها أساتذة التربية الرياضية من الزاوية الخاصة بهم، ويجدر بنا أن نهتم بجانبها الأدبى، وألاّ نستخف بشأنها، خاصة أنَّ لقاء الصغار بها يبدأ فى سن مبكرة.. ويتأثر النمو الحركى للأطفال بعدة عوامل، منها حالة الطفل الجسمية، وصحته العامة، والقدرة العقلية أو الذكاء.. وقد ثبت أن الأطفال المتأخرين فى عطائهم الذهنى يُعانون ـ كمجموعة ـ نقصًا فى قُدراتهم الحركية، بعكس الأطفال الموهوبين، فإنهم يُظهرون تفوقًا فى نموهم الحركى، وكما أن النقص فى الذكاء يؤثر فى النمو الحركى، كذلك بعض الاضطرابات الشخصية ـ كالخجل، والانطواء، والعدوانية، والاتكالية ـ عوامل تنعكس بدورها على

نشاط الأطفال الحركى.. وهناك بعض من يرى أن الأدب يمكن أن يكون له دور فى علاج كل هذا.

وهناك خواص بدنية وحركية لطفل ما قبل المدرسة، بجانب خواص عقلية وأخرى إبداعية، من بينها أن اللعب الخيالى أكثر استثارة لهم في هذه المرحلة، ومن أنشطتهم المفضلة التقليد والاستمتاع بالقصص والأغانى، والمشاركة فيها بشكلٍ أو بآخر. كما تنمو لديهم القدرة على التخيل لما يُرْوَى لهم ويُسْرَد عليهم، ونلاحظ أن أساتذه التربية الرياضية يركزون على النمو الحركى، لكنَّ الكتّاب والأدباء لم يواكبوهم ولم يسايروهم فى وضع قصص وحكايات تتناسب مع هذه الحركات، مكتفين بما توارثناه من ألعاب وحكايات وأغنيات شعبية، متقبلين فكرة أنها مرحلة «تعلم» و «استكشاف»، متناسين أن أثر الأدب أقوى من أى درس مهما حَسُنَ إلقاؤه، وأنه قد بات من الضرورى إجراء هذه البحوث والدراسات على مستويين: الأول: المستوى الرياضى، والثانى: المجال الأدبى.

وقد أجرت د. جليلة مصطفى السويركى دراسة علمية ميدانية حول القصة الحركية وأثرها على تنمية القدرات الإدراكية (الحاس ـ حركية)، وبعض المهارات الطبيعية لأطفال دور الحضانة والرياض. وقد ثبت من الدراسة أن هناك تأثيراً إيجابيًا فى المجالين، وأوصت باستخدام القصة الحركية كأسلوب تعليمى يبعث على استجابة الأطفال للمادة العلمية، وضرورة الاهتمام ببرامج خاصة بالقصص

الحركية، مع توفير أدوات صغيرة ملوّنة وجذّابة تُساير القصة المروية، والحركة المُؤَدَّاة.

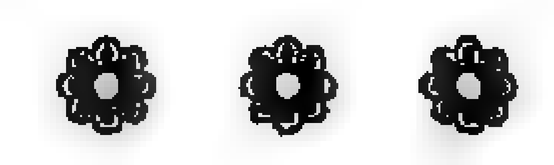
هذه ـ فيما نتصور ـ محاولة للربط بين الألعاب من جانبٍ، والقصص الحركية والكلمات المُغَنَّاة إثراءً للنمو الحركى والعقلى والوجدانى من جانبٍ آخر.

أما اللعبة (Toy)، فإنه منذ كتب «هانز أندرسون» قصة (العسكرى الصفيح الشجاع) وحكايات اللعب تتوالى.. ونعرف يقينًا أن هذه الحكايات بدأت فى مصر القديمة بقصة مشهورة عن «تمساح لعبة» يتحول إلى تمساح حقيقى يلتهم شرير الحكاية.. وكثيرة هى اللعب المعاصرة الناتجة عن قصص وأعمال أدبية بها نموذج لعب، مثل: برنامج «افتح يا سمسم»، ولعب أفلام والت ديزنى، والدب بادنجتون، والقطة جارفيلد، والكلب لاسى، والحصان الأسود بلاك بيوتى، وما إلى ذلك.

والربط بين الأدب واللعبة له أثرٌ كبير، إذ يتعاطف الصغير مع الدُّمية، ويتابع سلسلة حكاياتها فى شغف أكبر، بعد أن تجسدت فى صورة لعبة يتعامل معها، ويحتفظ بها، بل أحيانًا يتحاور معها.

إن القصص التى تصدر فى كتاب، أو تُذاع عبر الميكروفون، أو الشاشة الصغيرة، يتعلق الأطفال بأبطالها: حيوانات، وكائنات، وبشر.. وتتحول هذه إلى «لُعَب» بعضها متحرك، وبعضها مجرد

دمية، لكنها تصبح أثيرة لدى الصغير، ويزداد تعلقًا بها: أدبًا وحكاية، دمية ولعبة.. وصدور هذه القصص فى كتب، ومجلات، أمرٌ ننصح به، ونندى بتطبيقه.. سواء كانت الحكاية هى البداية، أم هى اللعبة التى صِيغت عنها قصة.



مراجع هذا الفصل..و(كُتُبٌ حوله وله):

أصدرت كل البلدان العربية كتبًا مرشدة لهذه المرحلة.. منها: الكتب المرشدة (٣ مجلدات) وزارة الشئون الاجتماعية ـ إدارة الأسرة والطفولة (مصر) ـ مرشد دور الحضانة. وزارة المعارف السعودية.. ودليل مشرفات الحضانة. إدارة الحضانة ورياض الأطفال بالكويت، وأيضا فى لبنان.. وإضافة لذلك نورد ما يلى:

١ ـ كتب مرسومة .. ديك برونا (دار الشايع ـ الكويت).

٢ ـ كتب للتلوين .. دار الشروق، ودار المعارف، والدار المصرية اللبنانية ـ مصر

٣ ـ كتب المتاهات .. دار ثقافة الطفل ـ بغداد.

٤ ـ الكتب المصورة .. كتاب للأستاذ بسام ملص ـ الأردن.

٥ ـ الكتب .. Comics (سيناريوهات).

٦ ـ كتب الألعاب (الشعبية) ـ الكويت.. القاهرة.. العراق.. السودان.

٧ ـ جمهورية الأطفال ـ اليونسكو ـ دراسات حول مجلات الأطفال.

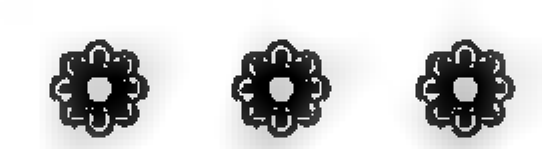
- Dovothy Butler, Babies need Books Penguin Books.

- Glenn Doman, Teach your baby to read Pan Books.

- Victoria Williams, Kids can read better A Signet Book.

- Barbara Lee and Masha Kabakow, Leading to reading Berkley Books.

- Rudolf Flesch, Why Johnny can't read Harper & Row.



الأدب التليفزيوني
لسن ما قبل المدرسة

الأدب التليفزيونى لسن ما قبل المدرسة

تستهوى الإذاعة المرئية أطفال هذه المرحلة بشكل كبير، إلى حد أن الكثيرين منهم يقضون أمام الشاشة الصغيرة ساعات طويلة، أحيانًا تتجاوز ساعات اللعب والحركة، وهو أمر يؤثر سلبيًا عليهم، لكن جاذبية ما يُقَدَّم من صورةٍ وحركةٍ ولونٍ وكلمةٍ ونغمةٍ وأغنيةٍ، لا تُقَاوَم، ومن المهم استثمار ذلك، دون أن يصبح الجهاز جليسًا للأطفال، وبديلاً عن الآباء.

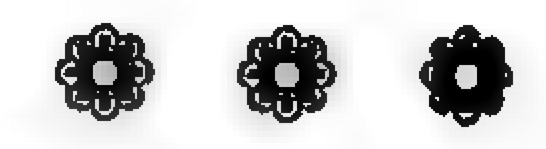
ونموذج «افتح يا سمسم» خير ما نتحدث عنه فى هذا المجال، على الرغم من أنه برنامج متكامل، لا يشكّل الأدب إلاّ نسبة متواضعة فيه. . لكنه يستخدم من الوسائل الجذّابه ما يغرى بمتابعته، سواء ذلك فى مجال الحكاية والقصة، أو القصيدة والتمثيلية. . والبرنامج أمريكى الأصل، يقدم فى عشرات البلدان الآن بعد إعادة صياغته وفق البيئة التى تتلقاه، والبلاد التى يشاهده فيها أطفالها بلغتهم الوطنية. . وقد أنتجت دول الخليج ١٣٠ حلقة منه فى

مرحلة سابقة، وكررت إنتاجها ١٣٠ حلقة أخرى، وكانت بسبيل إنتاج حلقات أخرى، مستخدمةً فى ذلك لُغةً فصحى مبسّطة ميسّرة، وقد ركزت على بعض جوانب التراث الأدبى، كما حاولت أن تربط الأطفال بروح العصر، مستخدمةً الرسوم المتحركة والكرتون، والأطفال يُقبلون عليها بشغف، بجانب العرائس بكل ألوانها: القفاز ـ الخيوط ـ العصى ـ الأقنعة. . كما أن هناك أفلامًا تسجيلية، ومشاهد تمثيلية من الاستديو، فضلاً عن رواية القصص والحكايات، وتقديم القليل من القصائد والشعر، ويعوّضهم عن قِلَّتِه أنه موجود فى الأغنيات.

والبرامج التليفزيونية لهذه المرحلة يغلب عليها جانب المتعة والإثارة، بالإضافة إلى التعليم والمعرفة، لكنها لا تخلو من الناحية الأدبية، وتطوير القدرة اللغوية للطفل، بإغرائه بمحاكاة أبطال المسلسل بأغانيهم وألعابهم، بهدف تحسين نطق الحروف والكلمات، والتعرف على التنغيم والإحساس بالأوزان الشعرية، والتشجيع على ترجمة انفعالاته بالأشياء والمواقف لغويًا، وتحسين طريقة تعبيره، وزيادة ثروته اللغوية من المفردات والتعابير والأمثال.

وتحاول البرامج التليفزيونية لأطفال هذه المرحلة إثارة انتباههم إلى صور الجمال فى الطبيعة، وفى الأشياء، حيث إنه ليس هناك كائن أو موجود إلاّ وفيه لمسة من جمال، وذلك يثرى حِسَّه وتذوّقه لجمال الكلمات والعبارات، وأحداث القصص والحكايات، خاصةً فيما يتعلق بالمواقف الإنسانية.

ونحن هنا حين نتحدث عن الإذاعة المرئية نتحدث عنها كوسيلة لتقديم الأدب، ولن نحيط بكل آثار التليفزيون فى هذا الصدد، لكننا نتوقع منه تبسيط الأعمال الأدبية ـ خاصةً الأعمال الشعبية الكلاسيكية ـ لكى تناسب هذا العمر، ويجدر بنا ألآ نعبره دون أن يتعرف الطفل من خلاله على السندباد، وعلى بابا، وعلاء الدين، كما يتعرف على «ميكى وبطوط» وما إلى ذلك. . وتقديم هذه الأعمال على الشاشة مستثمرين إمكاناتها سوف يتيح لنا فرصة إيصالها للأطفال.





الأدب الإذاعى
لطفل ما قبل المدرسة

الأدب الإذاعي لطفل ما قبل المدرسة

حاولت إذاعات عِدَّة الوصول بمادتها إلى الطفل فى هذه المرحلة.. والإذاعة ـ كما نعلم ـ تقدم كلمة مسموعة، ونغمة، ومؤثر صوتى.. والكلمة قد تكون على صورة: (١) حديث مرسل (٢) حوار (٣) ندوة (٤) قصة (٥) تمثيلية (٦) برنامج خاص.. والسؤال: أى هذه الأشكال يمكن أن يشد إليه هذا الطفل؟.. وهل يستطيع أن يتابع ويتلقى ما تقدمه له الإذاعة؟.. وما هى المدة التى يستطيع تحملها؟

ولَدَى إذاعة القاهرة ـ الشبكة الرئيسية ـ برنامج مفترض فيه أنه لهذه المرحلة، وهو يحمل اسمًا معروفا: (حدوتة وغنوة).. فى عشر دقائق يوميًّا.. يتقاسمها الطرفان، ستة أيام فى الأسبوع.. ويذاع البرنامج قبيل العاشرة باللهجة العامية المصرية، من أجل أن يتلقاه الصغار مع أمهاتهم فى البيوت، أو مع المربيات فى دور الحضانة، وهو يركز فى كل مرة على فكرة واحدة، تدور من حولها

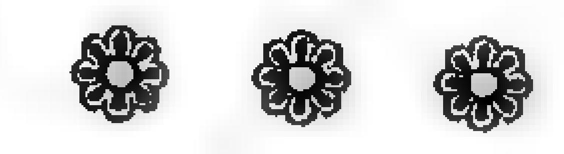
كلٌّ من الحكاية والأغنية، حتى لا يشتّت الطفل بأكثر من فكرة.

وأعرف أن الكثير من الاذاعات المسموعة لديها مثل هذا البرنامج بصورة أو بأخرى، وإنْ كنت أعلم أن البعض ينتقدونه، لأنه إمَّا بسيط ساذج، وإمَّا فوق مستوى أطفال هذه المرحلة، ويرون أن «التليفزيون» أصلح لهم.. لكن الإذاعة المسموعة فى مقدورها أن تقدم أدبًا للأطفال لهذه السن، مُدَرِّبَةً إياهم على الاستماع، وأيضًا الاستيعاب، شريطة أن تكون الأعمال المقدمة فى صورة مقبولة ومناسبة لاهتمامات السامعين، وترضى رغباتهم، وتحقق احتياجاتهم، وتجذبهم إليها، مراعية خصائصهم العمرية.

والأشكال الفنية التى أشرنا إليها فى مستهل حديثنا ربما لا تكون صالحة كلها لهم، كالندوة أو التمثيلية، ونفضّل عليها الحكاية المسرودة والحديث المباشر.. ومن تجربتنا نرى أن الصغير لا يحتمل أكثر من الدقائق الخمس استماعًا واستمتاعًا ومتابعة، ونجد من الضرورى أن يشاركه الكبار فى الاستماع، وربما يكون من المفيد إجراء حوار معه حوله، دون أن يتخذ الموضوع شكل الدرس التلقينى، أو الشرح وإبداء وجهات النظر، لكن من المهم أن نعرف كيف فهم هذا الذى استمع إليه؟ وما الذى جذبه إليه؟ وفى ذلك تدريب له على إدارة الأفكار فى رأسه، وتقبُّلها أو رفضها، لعلنا نغرس فيه القدرة على النقد، واكتشاف الإيجابيات والسلبيات، فضلاً عن أن ذلك يمنحه الفرصة للتعبير عن خواطره وأفكاره..

بجانب أنه يتعلم من خلال هذا أسلوب الربط بين ما يسمعه، وما يراه، وما يمارسه فى الحياة. . كما أنه يثرى لغته فهمًا، ونطقًا.

إن الإذاعة وسيلة غير مكلفة، خاصة لمن يعيشون بعيدًا عن المدن والعمران، ومن واجبات الأسرة فى البيت ربط الصغير بها وجذبه إليها، ومع تراكم المواد التى يسمعها سوف نكتشف أنها فتحت له مجالات واسعة، وآفاق عريضة فى الحياة.





شعر الأطفال
(قصيدة وقصة)

شعر الأطفال (قصيدة وقصة)

فى تقديرنا أن الشعر للأطفال له نفس أهمية القصة والحكاية، بل قد يتجاوز ذلك إذا كان يحكى قصة.. ولسنا فى مجال مقارنة، لكننا نريد أن نتحدث ـ ونحن أُمَّة عكاظ والمربد ـ عن الأطفال، وكيف غادروا فى السنين الأخيرة ساحة الشعر، والجهود البناءة التى يجب أن نبذلها لكى نعيدهم إليها.. إن الأمة العربية أنجبت امرأ القيس وشعراء الجاهلية العظام، وقدمت للدنيا: أبا العلاء المَعَرِّى، وأبا تمام، والبُحتُرى، والمتنبى... ثم البارودى، وأحمد شوقى، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران، والرصافى، والزهاوى، ومحمود حسن إسماعيل، وصلاح عبد الصبور، وأمل دنقل، (رحمهم الله جميعًا).. ولدينا من الأحياء كثيرون يثرون شعرنا العربى بروائع قصائدهم. وأصبح للأطفال أيضًا شعراؤهم الذين يقدمون لهم دواوين غاية فى الجمال بعد أن رَصَفَ لهم شوقى، والهَراوى، والرصافى، وكامل الكيلانى، وإبراهيم العربى ذلك الطريق

الطويل، وظهرت أسماء لها فى قلوب أبنائنا محبة خاصة مثل: سليمان العيسى، وفاروق سلوم، وفاروق يوسف، وفؤاد بدوى، وإبراهيم شعراوى و. . . و. . .

والسؤال الذى يطرح نفسه:

ـ لماذا ـ والشعر أقرب ألوان الأدب للأطفال ـ لم يعودوا يُقبلون عليه؟

وفى محاولة للإجابة، نحن على يقين من أن لقاء الأطفال بالشعر في البيوت قد أصبح قليلاً، وقد التقينا بالشعر فى المدرسة، وكان كتاب «المنتخب من أدب العرب» من أحب الكتب إلينا، وكنا نقرؤه فور تسلمه، ونحس أننا فى حديقة أدبية بديعة الأزهار، وافرة الثمار.

وحدث تحوّل كبير. . لم يعد الآباء يحملون إلى البيوت قصائد الشعر أو دواوينه، بل إن الإذاعة ـ ومن بعدها التليفزيون، أهملا شعر الأطفال إهمالاً كبيرًا، ولا أظن أن إرسالهما يتضمن شيئًا منه. . أمّا المجلات، فقلما تنشر إلا محاولات الأطفال الشهرية. . فقط بغداد ـ ودار ثقافة الأطفال بالتحديد ـ لها عنايتها الكبيرة بالشعر وقصائد الشعراء للأطفال، وهى تُصدر سلسلة شعرية لهم أصبحت رصيدًا رائعًا يجدر بنا أن نقف عنده.

أمّا المدرسة فقد أغفلت صفحات كتبها المقررة قصائد شوقى،

وحافظ، ومطران، وجبران، والزهاوى، والرصافى، وعمالقة القصيد العربى، لتحل محلها قصائد سخيفة، وأشعار بليدة، لا تمت إلى الشعر بمعناه المألوف بصلة. ويفترض أن يحفظ الطفل هذه النصوص، التى لا تنفّره من الشعر والأدب فحسب، بل قد تنفّره من الحياة ذاتها.

وقد أُصيبت دولة الشعر فى حياة أطفالنا بانفصام وانفصال شبكى: شعر عظيم يكتبه كبار الشعراء، و«لاشعر» ينظمه رجال لا خبرة لهم فى هذا المجال.. إذن، كان لابد أن تنتهى علاقة الأطفال بالشعر.. بل إنهم غادروا ساحة الأشعار الشعبية التى كنا نحفظها ونردِّدُها أثناء لعبنا ونحن صغار مثل: (عَمِّى يا جمّال) و «يامطره رُخِّى رُخِّى) و.... إلخ.

إن هناك بعضًا ممن يظلمون الشعر - أروع ألوان الأدب - حين يجعلون الأطفال يكرهونه ويضيقون به، ولا يُقبلون عليه، إذ تُفْرض عليهم قصائد يحفظونها عن ظهر قلب، بلا حب، وبلا فهم... وكثيرون - لعلى من بينهم - يرون أن كُلَّ الأطفال شعراء، ومحبون للشعر، وأن الكبار يُفسدونهم ولا يجعلون بذرة الشعر وحُبّه تنمو فى نفوسهم.. ولابد من جهود كبيرة لكى يعودوا للشعر ويعود إليهم.. خاصةً بعد أن أساءت إليه المدرسة.

إن الكبار لا صلة لهم بالموسيقى الشعرية ولا بالعروض الذى يميز الشعر عن غيره من فنون القول.

والسؤال: لماذا؟

وفى محاولة للإجابة نقول: إن ذلك يرجع إلى ما يلى:

أولاً: انحطاط صلة فنون الأدب العربى باللغة العربية، فالمسرح عامِىّ، والأغنية عامية، والخطابة على ألسنة القادة والزعماء عامية، والإذاعة والتليفزيون يحملان راية العامية، فإذا اضطرتا للفصحى فَعَلَى نهرٍ من الأخطاء اللغوية البشعة.

ثانيًا: اختفاء النقد الأدبى فقد كان للأدب نُقَّاد إلى جانب أن جميع الشعراء كانوا يمارسون النقد، والنقد الذاتى على المنابر التى كانت سائدة وقت ذاك بالجريدة والإذاعة، ولاسيما البرنامج الثانى.. وهذا انتهى تقريبًا.

ثالثًا: قلة الندوات الخاصة، والعلمية، والأمسيات الشعرية.. وفى الأولى قلّما يتعرض روادها للشعر، برغم أن الذين يشهدون تلك الأمسيات شعراء، أو لهم محاولات لقول الشعر، وليسوا من الجماهير التى تجىء لتذوقه والاستمتاع به.

رابعًا: التقدير المادى للشعر متواضع.

خامسًا: إبعاد الشعر عن المجالات والمنابر الجماهيرية، كالإذاعة - مرئية ومسموعة.

سادسًا: عدم معرفة المدرسة للغة الطفل وقاموسه، وقيام بعض الموجِّهين بتأليف الشعر المقرر على المدارس - بحكم وظائفهم لا شاعريتهم.

سابعًا: عدم الاحتفاظ بأعمال رواد الشعر، من أمثال: الهراوى، وشوقى، والرصافى، وكامل كيلانى، وإبراهيم العْربى. . وهنا تُذكر محاولاتنا لإعادة نشر أعمالهم.

ثامنًا: لم يحدث تطوير فى أساليب تقديم مادة العَرُوض الشعرى للدَّارسين، فمازال علم العَرُوض من أصعب العلوم التى درسها الطلبة.

تاسعًا: عدم تقديم الشعر لدور الحضانة ورياض الأطفال إلاّ بالعامية، ثم نفاجىء الطفل بالشعر تقريبًا فى الصفوف العليا الابتدائية، فى حين أن الشعر قيمة، بل وعاء للقيم، والقيم تُغْرَسُ من البداية الأولى فى وجدان الطفل.

وفى أدب الأطفال الإنجليزى باب مهم عن «أغانى المهد». وتكاد تنال احترام آيات الكتاب المقدس. . أما «هامتى ودابتى» فهو شعار مجلة لأطفال ما قبل سن المدرسة فى أمريكا. . والروس على الجانب الآخر جعلوا للشعر ركنًا مهمًا فى مكتبة الطفل، بل ترجموا أشعارهم إلى العربية نظمًا.

ولما كان من المستحيل الرقى بالمجتمع فى غفلة عن الرقى بالشعر، فينبغى أن نبحث عن الوسائل لذلك، وحتى لانبدأ من الصفر ينبغى أن نتساءل: ماذا قدمنا فى هذا المجال فى مجلات الأطفال، وفى مسرح الطفل (البشرى)، وفى مسرح العرائس، وفى

الإذاعة، وفى التليفزيون، وفى الكتاب المدرسى وغير المدرسى، وفى الأعمال الموسيقية، والباليه، والأوبرا، والأوبريت؟

فلنبحث عن إجابات لدى الذين نجحوا فى تقديم الشعر لأطفالهم، وبالذات عند الإنجليز، الذين جعلنا لغتهم نافذةً لنا على الأدب خارج نطاق لغتنا.

قصائد الأطفال عند الشعراء الإنجليز:

على الرغم من أن الشعر الإنجليزى له أساليبه فى دراسة موسيقاه، فإن الأُذن الموسيقية تستطيع أن تحس بصلة ما بين موسيقاهم وعَرُوضنا.. وعندما نستعيد أغنية «عيد الميلاد» الشهيرة، نحس أنها على وزن فَعِلاتُن فَعِلات،. ممَّا يؤكد الوحدة الإيقاعية للشعر بجميع اللغات. أمّا البحر المتدارك ـ وهو على وزن (فَعْلُنْ فعلن فعلن فعلن) ـ فيكاد أكثر الشعر الإنجليزى للأطفال أن يكون على وزن هذا البحر. ومن أشهر أغانى هذا البحر أغنية: «ماجدولين العجوز كان يملك مزرعة. وفى مزرعته كلب ينبح، وقطة تموء، وبقرة، وقرد، وحمار، وكل حيوان يصدر صوتًا...».

وهذه أغنية أخرى من نفس النوع القائم على هذه التفعيلة الراقصة:

Once I saw a bird

Come hop, hop, hop

Solcried, "Little bird,"

Will you stop, stop, stop,

And was going to the window

To say, "How do you do?"

But he shook his little tail,

وقد تنبه الشاعر «محمد الهراوى» إلى تشابه الأوزان فى شعر الأطفال العالمى، وهذه أغنية للمَطَر من أغانى آلات «الباند»، ويمكن إنشادها مع التصفيق المنتظم. وهل تفعيلة المتدارك إلاّ ترداد لكلمة (تم تم/ تم تم/ تم تم)؟ أى (فَعْلُنْ فعلن فعلن فعلن).

"Rain, rain, go away

Come again, another day

Little Arthur, wants to play"

(أيها المطر، توقف، واجعل هطولك فى يوم آخر، فإن الصغير يريد أن يلعب).

ومن أجمل الأمثلة على هذه التفعيلة فى شعر ما قبل سن المدرسة فى الأدب الإنجليزى هذه التنويمة:

This is the key of the kingdom..

In that kingdom there is a city..

In that city there is a town..

In that lane there is a yard..

In that yard there is a house..

In that room there is a bed..

In that bed there is a basket..

In that basket there are flowers..

In that basket there are flowers..

Flowers in the basket, basket on the bed..

Bed in the room, ect., ect.,..

(هذا مفتاح المملكة، وفى تلك المملكة مدينة، والمدينة فيها شارع، والشارع فيه حارة، وفى الحارة بيت، والبيت فيه حجرة، والحجرة فيها سلة، والسلة فيها زهور، والزهور فى السلة على السرير فى الحجرة، إلخ إلخ).

ولمزيد من توضيح فكرة صلة إيقاع بعض الشعر الإنجليزى بإيقاع بحر المتدارك، نقول: إن الأمر لا يقف فقط عند الشعر فى لغات غير العربية فحسب، فصوت القطار القديم الذى كان يسير بالبخار هو ترداد لتفعيلات هذا البحر (تشيك توتو تشيك توتو).. فعلن فعلن..

وهناك «أغنية وداع» تبدأ بصوت القطار، وهى على وزن المتدارك (تجاوزًا)، وهى للشاعر «آلان سيجار» الذى مات فى الحرب العالمية الثانية، وكلماتها:

Wish me luck, as you wave, me goodby..

With the cheen, not a tear, make it gay..

Give me a smile..

I can keep all the while..

In my heart..

Till we meet, once again, you and I?

. Wish me luch, as you wave me goodbye.

الملامح الأساسية
لشعر أطفال ما قبل السادسة:

تتساءل بربارا ستينر: هل تتذكر أحاسيسك ومشاعرك القديمة وأنت على حجر جدتك، وهى تمر بأصابعها فى شعرك، وتحكى لك حكاية ساحرة؟ أو حين كنت تستلقى على بطنك لتتحدث إلى الضفادع ولتراقب النمل؟ وهل تتذكر الألم الذى كنت تشعر به حين يبتعد عنك أعز أصدقائك؟

وما دمت تتهيأ لكتابة الشعر للأطفال فهل تحتفظ بأحاسيس الدهشة والعفوية والتلقائية بحيث تحملق فى براءة طفل صغير فى فَراشة، أو نحلة تطير فوق الزهور. إن هذه الأحاسيس والمشاعر ضرورية لمن ينشد الشعر للأطفال.

إن كتابة الشعر للأطفال مجال التحدى والتخصص، وأنا لا أنصحك بالجلوس وكتابة أى شيء «للأطفال». بل اكتب الشعر لنفسك، فإذا ما اكتشفت أن العمل الذى أبدعته يتحدث بشكل مثالى يصل إلى حد الكمال إلى الاطفال، فإن عليك عندئذ فقط أن

تنبه الناشر إلى أن عملك هذا يمكن أن يُوَجَّه إلى القارىء الصغير.

وهنا يتولد سؤال، هو: كيف يمكنك أن تعرف أن شعرك يصلح للأطفال أكثر مما هو للفتيان - من غير أن نغفل أن من الشعر ما يتحدث إلى جميع الأعمار؟

من الملامح الأساسية لشعر الأطفال:

* أنه قد يتعامل مع فكرة واحدة، قد تكون قيمة: كالصدق أو الأمانة.. وقد تكون موقفًا: كالرحلة أو مساعدة فقير.. أو علاقة حياتية: مع الأم، أو المعلم، أو الجيران.. أو إضافة معرفية، أو قصة قصيرة منظومة.

* أنه يتكون من أبيات قليلة لا تزيد فى العادة على اثنى عشر بيتًا، وهناك مجالات قليلة تتجاوز فيها المنظومة الشعرية ٣٠ سطراً.

ونحن لا ننصح بأن يبدأ الشاعر بمحاولة معرفة ما يحتاج إليه (السوق) من مواصفات للشعر ثم يقوم بالتأليف فى حدود تلك المواصفات، بل إن على الشاعر أن ينطلق على سجيته، مُطْلقًا العنان لطاقاته الإبداعية، وصولاً بالعمل الشعرى إلى الطول الذى يناسبه ويحتاج إليه، وبعد ذلك يأتى دور النشر معزولاً تمامًا عن الإبداع، وكما أن كل زهرة تجذب إليها الفراشة أو الحشرة التى تناسبها فكذلك الشعر، يجذب الطفل أو ينجذب إليه.

* وشعر الأطفال ينبغى له أن يتجنب الأفكار الكبيرة، وأن

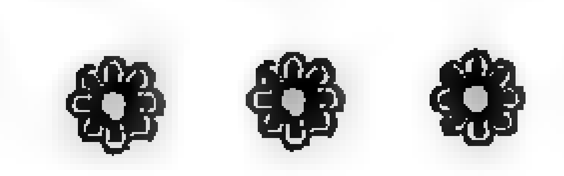
يتحاشى المجردات، وأن يبتعد عن العموميات التى لا يمكن تحديدها بالرسم. . فأنت حين تذكر كلمة (حصان) تستطيع أن ترسم على الورق حيوانًا بعينه له رقبة جميلة، وجسم رشيق، وذيل حريرى طويل، ولكن المجردات يستحيل رسمها فى لوحة واحدة محدودة: كالحياة. . والموت. . والحب. . والسلام. . والصدق. . والشرف. . و. . .

* وموضوعات هذا النوع من الشعر نستمدها من كل ما يهتم به الأطفال أو يتحمسون له، أو يتعاطفون معه، ولاسيما ما يتصل بحياتهم اليومية وأشيائهم الصغيرة التى لا يلتفت إليها الكبار. . والطبيعة من حولنا كنز لا ينضب، يلهمنا الشعر للأطفال. . إنه الشىء الحى المتحرك المتنوع الذى ينشط وينبه، ويقدح زناد انفعالاتنا المبدعة.

* وشعر الأطفال يحاول الإجابة عن سؤال كامن فى وجدان الصغار، ومع ذلك فهو لا يتردد على ألسنتهم ضمن مئات الأسئلة التى يزعجون بها الكبار، وهذا السؤال هو: أين مكان الأطفال من هذا العالم الذى خطط وجهز ونظم بحيث يناسب الكبار وحدهم فقط، فى نومهم ويقظتهم، وفى حِلِّهم وترحالهم، وفى سمرهم وجهادهم اليومى؟

* والطفل يحس بعجزه، ويحلم بأشياء تمنحه القوة، كأن تكون له أجنحة كالفراشة مثلاً.

*والأطفال يقضون وقتاً طويلا فى محاولة فهم أشياء يراها الفتيان بديهيات عادية «مثل أن ندفن البذرة فى التربة، فهى فى ظلام دامس من كل جانب، فكيف تتحرك الساق الغَضَّة بالأوراق الأولى إلى أعلى دائمًا بحثًا عن نور الشمس؟».



شعر الأطفال

في أرضنا المحتلة والمغتصبة:

إن عيوننا عليهم ـ سياسيًا وعسكريًا ـ نرقبهم فى حَذَر، فلقد عَوَّدُونا على الغَدْر، لكننا نغفل عَمَّا يجرى ثقافيًا فى أرضنا المحتلة، وبالذات فى مجال ثقافة الأطفال، ونود أن نكشف عن كَمِّ الحقد الرهيب الذى يُرضعونهم إياه من خلالها، والرغبة العارمة فى تحويلهم إلى وحوش آدمية فى مواجهة أصحاب الأرض الحقيقيين، وأشقائهم العرب من حولها.. ومقوله: «مَنْ عَرَفَ «لُغَةَ» قَوْمٍ أَمِنَ شَرَّهُم» تَنسحب على «الثقافة» و «التعليم».. ومن هنا يأتى اهتمامنا بهذه الورقة حول شعر الأطفال داخل هذا الكيان، وقد كتبها «يوريل أوفيك»، وهو وزوجته يمثلان ذلك الكيان عالميًا ودوليًا، والورقة التى نعرض لها قدمها فى المؤتمر الخامس عشر للهيئة الدولية لكتب الأطفال الذى عُقد فى أثينا، ما بين ٢٨ سبتمبر و ٢ أكتوبر عام ١٩٧٦م.

يقول «أوفيك»: إن التراثَ العِبْرِيَّ يحوى عبارة تقليدية مقتبسة من العهد القديم، تعنى «الكاهن فى مواجهة النبى»، وهى تشير إلى التناقض بينهما فى شخصيتهما وآرائهما.. الكاهن يمثل الناس الواقعيين الذين يعيشون حياتهم اليومية، فى حين يحلّق النبى فى العوالم العليا والسماوات.. (نلحظ هنا أنهم لا يرون الكاهن مكمّلاً لرسالة النبى، بل هو متناقض معه) وموضوع الشعر

والأطفال يحوى عنصرين متناقضين: «الشعر فى مواجهة عصر التكنولوجيا». . إن كهنة التكنولوجيا لا يعترفون بأنبياء الشعر. . إذ هو مادة خيالية ـ كما يرى الكثيرون ـ لا تمتُّ بصلة بالواقع والحياة الراهنة. . ويبدو هذا واضحًا فى البلد الذى «أتشرف» بتمثيله.

ويضيف: إن الأطفال هناك يتنفسون جواً من التوتر والحذر منذ أيامهم الأولى، والشيء الأساسى الذى يهم غالبيتهم ويبحثون عنه فى الكتب هو النَّفَّاثَات، والصواريخ، والقذائف الموجهة، والغواصات. . وقراءات الأطفال عندهم مقسمة إلى ثلاث مراحل: سنوات ما قبل القراءة، عندما يستمعون إلى أغانى المهد، ويحفظونها بسهولة، ويكررون ترديدها. . ويقرأ الأطفال المبتدئون الأشعار القديمة المشهورة، لكنهم فى سن القراءة الأساسية (٨ ـ ١٢ سنة) يتجهون إلى «المغامرات»، بحثًا عن الهوية المتمثلة فى آبائهم، وإخوتهم الكبار، والأبطال، وهم خلال ذلك يباعدون ما بينهم وبين الشعر، وقلّما يَقْرءُون باختيارهم شيئًا منه. . ولكنهم بعد أعوام قليلة. . فى سنوات الرومانتيكية ـ مابعد الثالثة عشرة ـ يعودون للشعر، خاصة الفتيات، للتنفيس عن مشاعرهم من خلال الشعر الغنائى.

وفى تقدير ذلك الكاتب أن هذا وضع غير مرغوب فيه، فإنه فى عصر «التكنولوجيا» يجدر أن يكون للشعر دور ومهمة رائعة فى

حياة الطفل الحديث، أكثر وأكبر منه فى أى عصر آخر، يبشّر بعالم جديد يختلف عن واقع عالم اليوم الذى يعيشونه، عالم من الإيقاع والأغنيات، مملوء بالجمال والخيال. . . ألم تكن هذه دائمًا هى المهمة الأساسية لشعر الأطفال؟. . لقد ابتعد الشعر عن الحياة اليومية، برغم قيمته، وإشاعته جوًا من المرح والخيال والخبرات، ومحاولة أن يجعل الطفل يهرب من ضغط الواقع من حوله. . ومن جانبنا نحن العرب ـ والشعر قيثارتنا ـ يختلف الأمر، إذْ نجد إصرارًا من جانب شعرائنا على أن يقدموا لأبنائنا قصائد حديثة تترنم بالماضى وأمجاده. . ونجد فيها حسًّا إنسانيًّا، وشفافية، ولأننا نريد أرضنا ولا نستطيع أن نرفع إصبعنا عن جرحنا فإننا نتغنى بها، وننشدها، وننشد لها. . وأطفالنا يحفظون مقولة إخناتون: (من أخرج السيف من غمده مات به)، وهم لن يخرجوه إلاّ من أجل الحق والعدل، ومن جانبنا لا نثير فى نفوسهم الكراهية والحقد والعنصرية كما يفعل الآخرون حين يتركونهم للنفاثة والصواريخ، وهى على المدى الطويل لن تجديهم، إذ تلفظ الأرض الأجسام الغريبة، ويأبى الشعر الصادق إلاّ أن يعلن «تُؤخذ الدنيا غلابًا». . و «ما أُخذَ بالقوة لا يُسترد إلاّ بالقوة». . وقد كانت قصائده سبيلنا للانتصار فى المعارك القديمة، إذ كان هو الإعلام، والطبل المصاحب للقتال. . وكان فى أحرج الأوقات يردد: «طلع البدر علينا. .» تلك الأبيات التى ردّدتها الطفولة استقبالاً لمحمد بن عبد الله، (صلى الله

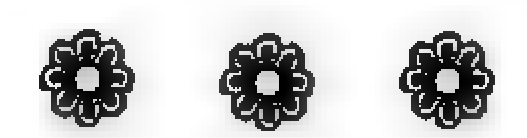
عليه وسلم)، يوم وصوله إلى المدينة مهاجراً. . وقد عاد بعد سنواتٍ عشرٍ إلى بلده، لأن نصر الله جاء والفتح.

وقد زرتُ مدرسة أطفال فى قرية من القرى، ولم تكن مفاجأة لى أنَّ مديرها قد أعلن عن مشروع «دقيقة للشعر» فى كل حصة، فيقف طفل فى لحظة ما خلالها ليلقى بيتًا يختاره أو بيتين، وهناك تنافس فى الاختيارات، وفى نهاية الأسبوع هناك كتاب هدية لمن أحسن وأجاد الاختيار والإلقاء. . لكن المفاجأة الحقيقية كانت فى اختيار بعض الأطفال لأبيات من قصائد لمحمود درويش، وسميح القاسم، وصلاح عبد الصبور، وعبد العزيز المقالح، بجانب فحول الشعراء القدامى. . وكم أبهجنى أن أجد مكتبة المدرسة عامرة بالدواوين، وأن أجد الأطفال لا يقفون عند الهراوى وسليمان العيسى، بل يتجهون إلى شعر الكبار يفهمونه ويستوعبونه. . . فهل يعمم هذا؟

نحن بحاجة إلى مزيد من الدراسة لأدب المحتل للأطفال عامة، وشعرهم لهم خاصة. . إذ تحولت قصائدهم إلى خناجر يغرسونها فى صدورنا، ناعتين إيانا بكل السوءات البشرية، مُرسّبين فى نفوس صغارهم كل ما يمكن أن يملأها ويفيض عليها بالمقت لخير أمة أخرجت للناس، فى وقت يريدون فيه أن يفرضوا علينا ألاّ نحكى تاريخهم لأبنائنا فى مدارسنا. . وأطفالنا يعرفون أنه مامن بيت عربى إلاّ له شهداؤه بأيدى هؤلاء، و«بحر البقر» ماثلة فى أذهانهم، محفورة فى قلوبهم.

إننا بعد هذا الاهتمام الكبير - من جانب مصر، والعراق، وسوريا، والمغرب، والأردن - بشعر الأطفال، وبعد إقامة المهرجانات والندوات وحلقات البحث الخاصة بهذا الشعر، وعند الاهتمام بالشعر فى المدرسة، سوف نُعيد أبناءنا إلى ساحة عكاظ والمربد، وسوف يتألق الشعر العربى من جديد على ألسنة أحفاد امرىء القيس والمتنبى وشوقى.

وليس هناك من سبيل لكى نُحَبِّبَ الأطفال فى الشعر غير أن نضع بين أيديهم روائع قصائد كبار الشعراء العظام، وأن تتضافر جهود البيت والمدرسة فى هذا السبيل، وأن تشارك أجهزة الإعلام: إذاعة، وتليفزيون، وصحافة، فى تقديم الأعمال الشعرية للأطفال، بل بالإمكان أن يُسْهم المسرح بتقديم المسرحيات الشعرية «والأوبريتات» باللغة الفصحى لكى يتعودها الطفل.



المراجع والكتب الصادرة عن شعر الأطفال وأغانيهم

- تيد هيوز . . صناعة الشعر(دار ثقافة الأطفال - بغداد) .

- أحمد شوقى . . ديوان أحمد شوقى(دار المعارف - القاهرة) .

- الهراوى . . ديوان الهراوى (هيئة الكتاب - القاهرة) .

- معروف الرصافى . . ديوان الرصافى(دار ثقافة الأطفال - بغداد)

- كامل كيلانى . . ديوان كامل كيلانى(هيئة الكتاب - القاهرة)

- إبراهيم العرب . . ديوان إبراهيم العرب(هيئة الكتاب - القاهرة)

- عبد التواب يوسف . . شعر الأطفال(هيئة الكتاب - القاهرة)

- بهيجة صدقى رشيد . . أغان وألغاز شعبية مصرية (عالم الكتب القاهرة) .

- أحمد عيسى بك . . الغناء للأطفال عند العرب (وزارة المعارف - القاهرة) .

ـ بلقيس عباس وعفت عياد. . أغان جماعية (دار أبو الهول ـ القاهرة).

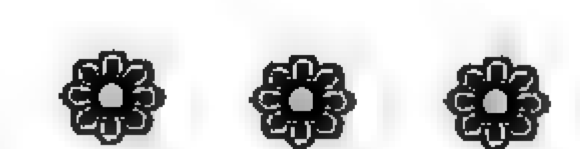
ـ عبد التواب يوسف. . سلسلة (غنوة وحدوتة) (الدار المصرية اللبنانية القاهرة) (خمسة كتب ـ ١٩٩٤م).

ـ د. كمال الدين حسين. . ألعاب الأطفال الغنائية (دار الفكر العربى ـ القاهرة).

ـ دراسات باللغة الانجليزية. . (ندوة الشعر للأطفال ـ أثينا ـ ١٩٨٧م).

ـ دواوين شعر الأطفال (بالإنجليزية). . إدوارد لير وآخرون.

ـ دراسات وبحوث الحلقة الدراسية الإقليمية لعام (١٩٨٨م) حول الشعر للأطفال ـ القاهرة من ٢٤ ـ ٢٧ نوفمبر ١٩٨٨م (هيئة الكتاب ـ القاهرة).



5

شعر الأطفال
نشيداً و أغنية

شعر الأطفال نشيدًا وأغنية

(رَوِّحُوا القُلُوبَ ساعةً، فساعَة..

فإِنَّ القُلوبَ إذا كَلَّتْ، عَمِيَتْ).

(حديث شريف).

* * *

سألت مذيعة طالبًا تخرج فى كلية العلوم

بامتياز مع مرتبة الشرف:

ـ ما سر تفوقك؟

أجاب: أم كلثوم.

وأضاف: لولاها ما استطعتُ احتمال ساعات الاستذكار.

* * *

(حرمان الصغير من «الترديد».

يُميت القلب ويخمد الذكاء).

(الإمام الغزالى).

درج أساتذة الطفولة على أن يحددوا أهدافهم بالنسبة لها على أنها: التربية، والتوجيه، والتثقيف، والتعليم.. وأخيراً «الترويح»، وأراه معادلاً موضوعياً للأهداف الأربعة الأولى، وأراه ضرورة حتمية تواكب كل هدف منها، فضلاً عن كونه فى حد ذاته هدفًا قائمًا بنفسه، وله أهميته الخاصة فى إمتاع الطفل، وجعله مُقبلاً على الحياة راضيًا، ومبتسمًا، وسعيداً.. وإغفال هذا الجانب وعدم العناية به سوف يحوّل التربية إلى شىء ينفر منه الطفل، ويبتعد عنه، وبذلك نفقده متابعًا، ومستمعًا، ومشاهداً، ويتبدد أثر كل هذه التربية فيه، وتصبح بلا جدوى.

إن التركيز على «احتياجات» الطفولة وحدها يبعدنا عن مجالها الحقيقى، إذْ «تحتاج» الطفولة أيضًا إلى إرضاء ميولها ورغباتها، وإمتاعها.. وإذا كان البعض - مثل والت ديزنى - يخاطب فيها غرائزها وميولها فحسب، فذلك ترف لا نتحمله، وأسلوب تربوى غير سوىّ.. الطفولة في حاجة دائمة إلى ضفيرة من «الرغبات» و «الاحتياجات» معًا.. والسر الحقيقى فى عدم نجاحنا معها هو عدم قدرتنا على صنع هذه الضفيرة بشكل عضوى يجتذب الطفل ويعطيه الضرورات فى وقت واحد.

والأغنية نموذج طيب للمادة الترويحية، إذ هي تضم بين جوانبها عناصر تكفل لها الجاذبية:

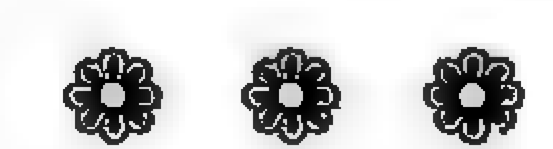
* إنها قصائد وأشعار كثيرًا ما تكون باللغة الفصحى، لكنَّ ذلك لا يحول بين الطفل وبين فهمها واستيعابها، وترديدها بشكل يُحبّب إليه الشعر، واللغة، والأفكار.

* إنها كلمات موقّعة، منغّمة، منظومة، حتى لو لم تحتو على مضمون، فيكفي أنها تُريح أُذنه وتمتعه.. فما بالك بها كلمات شعرية ذات معانٍ عميقة؟

* إنها موسيقى عذبة وحلوة، تعزفها آلات تُصدر أنغامًا منسّقة متوافقة، ترتاح إليها الأذن وتستسيغها، وتتقبلها في رضا وسعادة.

* وتلتقي الكلمات والموسيقى واللحن مع الأصوات والأداء، الأمر الذي يثمر شيئًا أليفًا للنفس وللوجدان.

كل هذه العناصر تتضافر لتقدم مادة ترويحية جذّابة وممتعة.



الأغنية والموسيقى
فى أجهزة الإعلام:

الموسيقى هبة السماء للأرض وللآذان، فمن أشياء محسوسة، (مثل: خرير المياه، وحفيف الشجر...) استطاع الإنسان أن يلتقطها، ويكتبها، ويؤلفها وفق «سلم» خاص، ليجعل منها فنا عريقا، جديراً بإنسانية الإنسان، وعندما صاغ كلمات موقّعة منغّمة، ضفّرها بالموسيقى، فصارت أغنية، وأصبحت فناً جديداً، والطفل يحب هذه الفن، ويعشقه، ويتطلع إليه: عارفًا ومنشدًا ومغنيًّا.. أو على الأقل مستعمًا مستمتعًا، ومن أجل هذا يجب أن يكون للطفل موسيقاه وأغانية، التى تُؤلف وتكتب وتُلحن وتُعزف له وحده، ليشب والأنغام تملأ أذنيه وأقطار نفسه، والكلمات تأخذ بيده إلى طريق سوىّ مقترنة باللحن.

إننا نستهدف فى مجال الموسيقى والغناء تثقيف أُذن الصغير وتدريبه على الاستماع إليها، والاستمتاع بها، كما تستهدف إعلامه بأخبارها قديمًا وحديثًا، وتعريفه بأعلامها على المستوى العالمى، والإنسانى، وعلى المستويين: الوطنى والعربى، أمثال: سيد درويش، وأم كلثوم، وشوبان، وعبد الوهاب، وتشايكوفسكى، وفيروز، والأخوين رحبانى، وزكريا أحمد، والقبانى و...

إنَّ الطفل حين يتجه للاستماع للموسيقى والأغانى، فإنه سوف يتدرب على فن الاستماع دون أن يُقاطع ـ وما أكثر ما نفعل فى

لقاءاتنا واجتماعاتنا ـ وسوف يتعرف إلى الموسيقى بأنواعها والغناء بألوانه، وصولاً إلى «السيمفونيات»، كما أن باستطاعتنا أن نجعله يتعرف إلى الآلات الموسيقية، للتمييز بينها، فيعرف آلات النفخ، والآلات الوترية، إلى غير ذلك من ألوان المعرفة بالموسيقى وعالمها، والغناء ودنياه.. وحاجة طفلنا للموسيقى والتربية الموسيقية وللغناء والإنشاد ماسّة وشديدة.

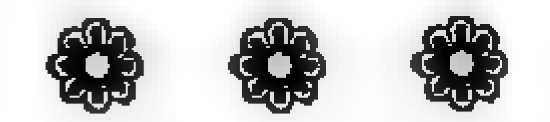
وأجهزة الإعلام لابد أن تضم برامج الأطفال فيها قسمًا خاصًّا بالموسيقى والغناء، يقدّم للأعمار الصغيرة برامج تستثير اهتمامهم بها، مثل: (على أصابع البيانو) أو (تعالوا نغنى معًا)، أو شىء من هذا القبيل، أمّا من تتجاوز أعمارهم اثنى عشر عاما فلابد من برنامج يشارك فيه الموسيقيون والملحنون والعازفون، يعرض لهم تاريخ الموسيقى، وألوانها، ويشرح ويحلل أشهر مقطوعاتها ومعزوفاتها، ويقدم أعلامها ومؤلفاتهم.. ويجب أن نشجع أصحاب المواهب الموسيقية والغنائية، ونفرد لهم بعض الوقت، يقدمون فيه نماذج من أعمالهم وأغانيهم الفردية والجماعية.

ولقد فجّر «أديسون» ثورة فى عالم الموسيقى والغناء حين نجح فى تسجيل الأنغام والأصوات وإعادة الاستماع إليها، واستطاع بذلك أن ينشرها على أوسع نطاق، وخُصِّصَتْ لها موجات وقنوات كاملة.

ومنذ قدّم «ماركونى» للدنيا هذا الصندوق السحرى المسمى

«الراديو»، وأجمل ما يهديه لمستمعيه «الموسيقى» و «الغناء»، ولسنا فى حاجة إلى أن نشيد بهما، أو نتحدث عن تأثيرهما. . إن نشيد «المارسيليز» فى الثورة الفرنسية، ونشيد «الله أكبر»، و«والله زمان يا سلاحى» أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م، كان لهذه الأناشيد دورها الكبير فى حماسة الجماهير، وانتصار الحرية والحق، والرخاء والمساواة. . وعلى المستوى الفردى ما من شىء يهز المشاعر ويرقّيها ويهذّبها ويشذّبها كالموسيقى والغناء وليس الإنسان وحده هو الذى يطرب لها، بل أيضًا الحيوان، وتكفى نظرة إلى الخيول العربية وهى ترقص مع الأنغام دليلاً على إحساس الحيوان بالأنغام، ولقد قيل إن تجارب أجريت ثبت معها زيادة إدرار الأبقار للألبان مع سماعها للموسيقى والغناء، ومن الثابت فعلاً أن الإنتاج الإنسانى يتضاعف إذا عمل مع الموسيقى والغناء. . وليس ذلك حال الإنسان المتحضر فحسب، بل إن الإنسان البدائى ليتأثر كثيراً بهما. . وفى هذا يقول أفلاطون:

«لا يستطيع مخلوق صغير ـ أيًا كان ـ أن يحفظ بدنه أو صوته ساكنًا، فكلها تحاول أن تصدر حركات وأصوات وهى تثب وتنحنى، وترقص وتمرح كأنها فى سرور وطرب. والإنسان متميز فى ذلك عن بقية المخلوقات الحيوانية بأنه يملك الحاسة الجمالية، وهى القدرة على أن يدرك ويستمتع بالإيقاع والنغم».



أغــانٍ وأنغـــام
فى آذان الأطفال:

وإذا كان أفلاطون قد توصل إلى تأثر الصغير بالنغم والغناء، فلاشك أن الإنسانية قد أدركت الكثير عن قضية الطفل والموسيقى والغناء عبر رحلتها قبل أفلاطون وإلى اليوم.. وفى حفلات «السُّبوع» دأبنا على أن ندق «الهاون» ونصدر أصواتًا عالية قرب أُذن الرضيع، ونغنى بكلمات شعبية، بعضها ينبو عن الذوق، مثل:

«اسمع كلام أمك، ولا تسمع كلام أبيك».

أو العكس.. فقد سمعناها على الوجهين، وشعرنا بسخفها، خاصةً إذا قرأنا أن الآباء في فلسطين المحتلة ينشدون فى أُذُنِ الرضيع نشيد «أرض الميعاد»، و«شعب الله المختار»..

والطفل لا يعى شيئًا من هذا الذى يُسكب فى أذنية، لكنه يتأثر به وجدانيًا، وكان نبى الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينصح الصحابة بأن ينشدوا فى أُذُنِ الرضيع بالأذان الذى يُنادى به للصلاة «الله أكبر .. الله أكبر...».

ولعلّ هذا أول لقاء في الحياة بين الطفل من جانب، والموسيقى والغناء من جانب آخر.. وهو يلتقى بها بعد ذلك فى تلك الأصوات والكلمات المنغّمة التى يدلل بها، أو التى يحاولون بها

إسكاته حين يبكى، ثم تلك العبارات الرتيبة التى تُرَدَّدُ من أجل أن ينام:

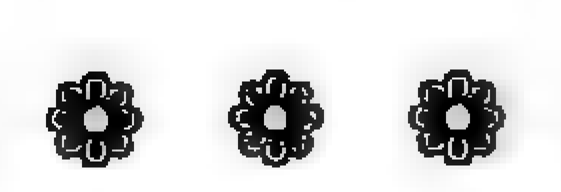
«اسكت اسكت وأدبح لك جوزين كتكت».

«نام نام وأدبح لك جوزين حمام».

والرضيع لا حاجة به إلى زوجين أو زوج حمام، ولكنه السَّجْع والنغم والموسيقى التى تُشعر الصغير بالطمأنينة.. وتتوالى هذه العبارات المنغّمة مع الخطوات الأولى للطفل.

«تيته تيته، خطى العتبة».. وقيل «العقبة».

وهى مرتبة أصعب من السير، وقد تعنى أيضًا أن يخطو الصغير ويعبر «العقبة»، أىّ عقبة على طريقه.. وتستمر العبارات تتغنى بها الأمهات للأبناء جميعًا حبًّا وتشجيعًا، بعد أن يستطيع الصغار السير على الأقدام، ثم استعمال أجسامهم فى التعبير عما يجيش فى أنفسهم بالحركات الإيقاعية، وتحريك اليدين والقدمين والرأس. وقد أدرك الآباء قدرة الأبناء على ذلك منذ سن مبكرة، فصاغوا لهم عبارات وأغنيات، ونظموا أبياتًا قصيرة، نطقوا بها منغّمة موقّعة، وتغنوا بها لصغارهم.



تاريخ أغنية الطفل العربى:

فى طفولة الإنسانية كانت هناك موسيقى وأغنيات بدائية، بل إن البعض يتصور أن «حواء» قد غنت من أجل «قابيل» و «هابيل»، وهدهدتهما قبيل النوم.. والزمن الذى بنيت فيه الشواهد الحضارية - كالأهرام - لم يكن زمنًا صامتًا، بل كان مملوءًا بالشدو والغناء خلال الصيد، والبناء والحصاد.. وربما بدأت الهمهمات والأغنيات قبل الكلمات، وقبل أن تولد اللغة بشكلها المتكامل.

ويمر الطفل بمرحلة التقليد والمحاكاة، وتحكمه نفسية القطيع فى المجال الصوتى، ولن ندهش إذا بدأ طفل بالبكاء، وإذا بمن حوله يشاركونه، ونجد أنفسنا وسط «كورس» يؤدى معًا الصرخات - أو الضحكات - وتصبح مهمة المدرب الموسيقى لا تتجاوز ضبط الإيقاع.

وقد نشأت ثمرة لهذا أغنيات شعبية، ردّدها الأطفال والكبار فى كل العالم، على الرغم من أنها مجرد كلمات لا تحمل أية معانٍ، فقط هى مُوَقّعة منظّمة منغّمة لا أكثر ولا أقل.. ومن أمثلتها بالعربية: «الثعلب فات»، و«حادى بادى»، و«عم يا جمّال»، و«ياطالع الشجرة».. وهناك دواوين كاملة من هذا اللون فى اللغات الأجنبية.. من أمثلتها: «همبتى دمتى» و «ديكرى ديكرى دوك»، وغيرها. وقد اشتهر بهذا اللون من الأغانى الموقّعة التى تحتوى على عبارات بلا معانٍ معقولة الشاعر الشهير «إدوارد لير».

ويقول د. حسين نصار فى كتابه (الشعر الشعبى العربى): إن الآداب الشعبية جميعًا عرفت أغانى المهد والطفولة، وإن العرب لم يتخلفوا عن غيرهم في هذا اللون من الأدب، وسموه «ترقيص الصبيان»، ووصل إلينا منهم عدة مقطوعات كانوا يغنونها لأبنائهم، وتكشف هذه المقطوعات الفضائل التى كان العربى يحب أن يتحلى بها، والمفاخر التى كان يرنو إلى أن يقوم بها هو أو أبناؤه، لذلك تعد من الوثائق التى تمثل آمال المجتمع العربى فى عصوره المختلفة.

قال أحدهم وهو يرقّص ابنته:

كريمـــــة يُحبهـــــا أبوهـا

مليحةُ العينين عَذْبٌ فُوها

لا تُحسن السَّبَ وإنْ سَبُّوهَا

وقال الزبير بن عبد المطلب وهو يرقّص ابنته أُم الحكَم:

يا حبذا أُمّ الحكَمْ

كأنها رِيمٌ أحـــــم

يا بعلها ماذا يشم

ســاهم فيها فسهم

أمّا الولد فتبين الأغنية أنه كان يرجى منه أشياء كثيرة.. وقد تكتفى أمه بأن تعبر عن حبها الشديد له، فتقول:

أُحِبُّهُ حُبَّ الشَّحِيح لماله

قد كان ذاق الفقر ثم ناله

وقد تصفه بالذكاء واليقظة، ومن مظاهر ذلك قلة النوم وخفة الرأس:

أعـرفُ منــه قِلَّةَ النعاس

وخفّة فى رأسه من رأسى

وقد تصفه بالعفة والكرم، والمجد والوفاء.. وينقلون عن الزبير ابن عبد المطلب أنه قال وهو يُرَقِّصُ أخاه العباسى:

إنَّ أخِى «عباس» عَفٌّ ذو كرم

فيه عن العَوْراء إنْ قيلت صَمَم

يرتاح للمجد ويُوفِى بالذِّمَم

وينحر الكوماء فى اليوم الشيم

أكرم بأعراقِك من خالٍ وعَم

ويرى البعض أنها أغنية وضعت بعد الإسلام، إذ هى تقول: إنه أكرم «عم»، وتشير بذلك أنه عَمٌّ لرسول الله، (صلى الله عليه وسلم).

وقالت أمّ الفضل بنت الحارث الهلالية وهى ترقّص ابنها عبد الله بن العباس:

ثكلتُ نفسى وثكلتُ بِكْرى

إنْ لم يَسُدْ فِهْرًا وغير فِهْرِ

وعاتبت زوجةٌ - زوجها - والد طفلتها الذى تزوّج من أخرى لأن الأولى لم تنجب له ولدًا فقالت لوليدتها، وهى ترقّصها:

ما لأبى حَمْزة لا يأتينا

يظلُّ فى البيت الذى يلينا

غضبان ألاّ نلد البنينا

تا الله ما ذلك فى أيدينا

وإنما نأخذ ما أُعطينا

❀ ❀ ❀

6

الدين والغناء
منذ فجر الإسلام

الدين والغناء منذ فجر الإسلام

ولا يفوتنا أن نشير إلى ذلك التيار الذى يزعم أنه ينتمى إلى العقيدة، وهى منه بريئة، لأنه يريد أن يحرْم الناس من هذه المتع التى أحلها الله، بل إن البعض يحرّمها (الصورة ـ الأغنية ـ النغمة ـ اللعبة). . ويقول هؤلاء: إن هذه أمور تُلْهِى عن ذكر الله، ولو أنهم تمعنُوا لحمدوا الله وشكروه عليها، إذ هى تمنحنا ـ والصغار ـ قدراً كبيراً من فن يُشبع الوجدان، ويجمّل المشاعر، ويجعلنا أقدر على تحمُّل أعباء الحياة.

وكان المسلمون يُحيُون الكثير من المناسبات بالغناء: «السماع فى أوقات السرور، تأكيداً للسرور وتهييجًا له، وهو مباح إن كان السرور مباحًا، كالغناء فى أيام العيد، وفى العرس. . . إلخ». .

ويقول الدكتور حسين نصار: «إن عدة أخبار قد وصلت إلينا عَمَّا كانوا يفعلونه فى هذه المناسبات، وإنَّ النساء والرجال كانوا يشتركون معًا فى هذه الأفراح ويُحيونها بالغناء والرقص، ويعزفون بالآلات الموسيقية المختلفة. ووصفت السيدة عائشة (رضى الله عنها) ماكان يفعله الأحباش فى المدينة فى أعيادهم، إذ كانوا يرقصون

ويلعبون بالدّرق والحِراب فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ووصفت أيضًا بعض الاحتفالات بعيد الأضحى، فقالت: «دخَلَ علىَّ أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تلعبان وتُغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعَاث ـ وليستا بمغنيتين ـ فقال أبو بكر:

ـ أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله؟.. وذلك فى يوم عيد... فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم):

ـ يا أبا بكر، إن لِكُلِّ قومٍ عيداً، وهذا عيدنا.

وعُرِفَ الأنصار خاصة بحب الغناء، والميل إلى الاحتفال بالأفراح والمناسبات، قيل إن السيدة عائشة رافقت عروسَ أحد الأنصار يوم زفافها، فلمّا عادت سألها الرسول (عليه الصلاة والسلام):

ـ أَهْدَيْتُمُ الفتاةَ إلى بعلها؟

قالت: نعم.

قال: فبعثتم معها مَنْ يُغَنِّى؟

قالت: لا.

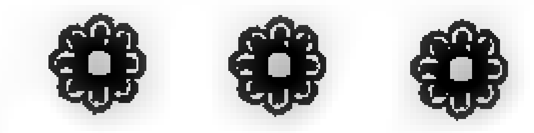
فقال: أو ما علِمتِ أَنَّ الأنصار قوم يحبون الغزل؟

وقد احتفل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بزواجه من خديجة،

وزواجِ على بن أبى طالب من فاطمة احتفالاً كبيراً غَنَّى فيه حمزة ابن يتيم، وعزف فيه عمرو بن أمية الضمرى على الدائرة.

وقُوبل الرسول (عليه الصلاة والسلام) عند الهجرة بالغناء من قِبَل - الأطفال والنساء، وكان الغناء مصحوبًا بالدفوف.. وأنشد الجميع:

طلع البدر علينا   من ثَنِيَّات الوداع
وجَبَ الشكر علينا   ما دَعا للّه داع
أيها المبعوث فينا   جئْت بالأمر المُطَاع
جئت شرفت المدينة   مَرحبًا يا خير داع



كتاب فريد عن الغناء للأطفال العرب:

أول لقاء للطفل مع الأدب يكون بالغناء له، وبترديده للغناء، ومن خلاله يتعرف على الكلمة، والوزن، والقافية، والنغمة، والموسيقى.. وفى سن مبكرة جداً تصل إلى أذنية ما سماه العرب «أغانى الترقيص».

صدر «كتاب الغناء للأطفال عند العرب» عن «وزارة المعارف العمومية» المصرية تأليف الدكتور أحمد عيسى بك، وقد طُبع الكتاب بالمطبعة الأميرية ببولاق عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٦م.

وفى المقدمة يقول المؤلف: «إن ترقيص الصبيان بالغناء والكلام الموزون من طبائع الإنسان أنَّى وُجد، حتى لنجدنه فى الحيوان الأعجم، إذ تراه (يهارش) ولده ويداعبه فى صوت لّين وحنو كحنو الإنسان على ولده.. إن الترقيص للإنسان من أقوم الوسائل لتربية الطفل وتنشئته، وغرس جميل الخصال، وحميد الفعال فى ذهنه قبل أن يشتد، حتى تتمكن من أخلاقه وتنقش فى مخيلته نقش القلم فى الحجر.

وقد اتخذ العرب من ترقيص الطفل بالمقاطيع الشعرية بث الفخر، والشجاعة والإقدام، والحماسة، والكرم، وإغاثة الملهوف، وتوسّعوا فى ذلك لبث أغراض أخرى، كاللوم والعتاب، والتبكيت والتقريع».

وكان لهذه الأقوال من حُسن الأداء وجمال التركيب وسَبْك الألفاظ وسمو الفكر ما جعل اللغويين يستشهدون بها على فصاحة الحروف، ونقاوة اللغة. . إلى هذا الحد مهمة هى أغانى الترقيص.

ويضيف أحمد عيسى بك ـ قبل خمسين عامًا ـ نصًا يقول فيه: «قصدت بتأليف هذا الكتاب إلى خدمة الأمم العربية عامة، والأمة المصرية منها خاصة، لاستصلاح بعض الأخلاق التى طرأ عليها شىء كثير من التغيير. . من: فقد الرجولة، وقلة الشجاعة، وضياع النجدة، وضعف الإقدام، والتغالى فى التجمل والتزين». .

ويضيف: «لم يؤلف فى الترقيص سوى كتاب واحد فى أواخر القرن الرابع الهجرى، لمحمد بن المعلى الأزدى النحوى اللغوى (. . .) وقد جمعت هذا الكتاب أقدمه هدية للأمهات، لا أبغى من ورائها غير خير الأمة».

ويكتب الرجل سبعة وعشرين مرجعًا طباعة ليون، وجوتنجن، وليدن، وإسطنبول، وليبزج، وبولاق، ومصر. وفي مستهل الكتاب دعاء للشيماء أخت الرسول (صلى الله عليه وسلم)، من الرضاعة. . وكانت ترقص قائلة:

هذا أخ لى لم تلده أمى . ˙. وليس من نسل أبى وعمى

فأنمه اللهم فيما تنمى

ودخل النبى (صلى الله عليه وسلم) وهو صبى على عمه الزبير ابن عبد المطلب، فأقعده فى حجره وقال:

محمد بن عبدم .·. عشت بعيش أنعم

ودولة ومغنم .·. فى فرع عز أسنْم

مكرم معظم .·. دام سجيس الأزلم

و«عبدم» كلمة منحوته من عبد المطلب، وأنعم من النعمة.. وفرع الشيء أعلاه، وأسنم من السنام.. أمّا العبارة الأخيرة الغامضة «سجيس» الأزلم فهى تعنى الزمان والدهر.. وفى الأغنية معانٍ جميلة بلا شك.

ودخل العباس بن عبد المطلب وهو غلام على أخيه الزبير، وقد رقّصه هذا، وأنشد له:

إن أخي عباس عف ذو كرم .·. فيه عن العوراء إن قيلت صَمَمْ

يرتاح للمجد ويُوفى بالذّمم .·. وينحر الكوماء في اليوم الشبم

أكرم بأعراقك من خالٍ وعم

والعوراء هى الكلمة القبيحة، والكوماء ناقه عظيمة السنام طويلة، واليوم الشبم اليوم البارد..

ورقّص الزبير بن عبد المطلب ابنته أم الحكم، فقال:

ياحبذا أم الحكم .·. كأنها ريم أجم

يا بعلها ماذا يشم .·. ساهم فيها فسهم

والريم هو الظبى الأبيض.. وأجم: لا قرنين له.. يشم يختبر.. وساهم القوم: فارعَهُمْ وانتصر عليهم.

وقالت أم الفضل بنت الحارث الهلالية ترقّص ابنها عبد الله بن العباس:

ثكلتُ نفسى وثكلت بكرى .·. إن لم يَسُدْ فهراً وغير فِهْرِ

بالحَسَبِ العد وبَذْلِ الوَفْـــر .·. حتى نوارى فى ضريح القبر

والثكل هو الموت أو الهلاك.. وفِهْر: قبيلة هى أصل قريش.. الحسب: الشرف.. والوفر: المال الكثير.

ويوالى كُتَّاب الغناء للأطفال عند العرب «تقديم أغانى الترقيص لأطفال لمعت أسماؤهم بعدما كبروا، وارتبطت بهم هذه الكلمات.. ونبتسم لقول فاطمة بنت أسد وهى ترقّص ابنتها عقيلاً:

إن عقيلا كاسم عقيل .·. وبيبى الملفف المحمول

أنت تكون ماجد نبيل .·. إذا تهب شمألٌ بليل

يعطى رجال الحى أو يُنيل

وكلمة (بيبى) أصلها: بأبى، ولا تمت بصلة لكلمة (بابى) الإنجليزية، ومعناها هنا: يفدى.. والملفف بمعنى السمين، أو الذى يوضع فى لُفَافة.. والشمأل: ريح.. بَلِيل: نسمة باردة مع الندى.. ويُنيل: يُعطى.

على أن هناك بعض أغانى الترقيص شهيرة، ترددت طويلا دون

أن نعرف لِمَنْ قيلت، ومنها:

يا حبذا ريح الولد .·. ريح الخزامى فى البلد

أهكذا كل ولـــــد .·. أم لم يلد قبلى أحد؟

الخزامى: زهرة عطرة

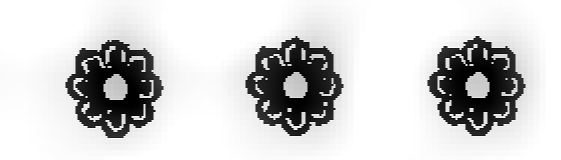
وقال الحسن البصرى يرقّص ابنه:

ياحبذا أروحه ونفســه .·. وحبذا نسمه وملمسه

والله يبقيه لنا ويحرسه .·. حتى يجر ثوبه ويلبسه

إن هذا الكتاب الطريف الفريد فى مائة وعشرين صفحة، وفى طباعة واضحة مشكولة وجميلة.. وهو بحق يبهرنا بعد مرور نصف قرن من صدوره.. هل تتيسر إعادة طباعته؟.. أرجو ذلك.

كان هذا هو فن الغناء للطفل عبر مراحل تاريخية.. والسؤال الآن: ماذا عن مراحل عمر الطفل وعلاقتها بالغناء والموسيقى؟





الموسيقى والغناء خلال مراحل الطفولة

الموسيقى والغناء خلال مراحل الطفولة

قلنا إننا نحاول بعد أسبوع من مولد الطفل تنبيه طبلة أُذنه، إمّا بدق (الهاون)، أو بإلقاء (الأذان) فيها. . والطفل يبدأ من المهد فى التنبه للأنغام الموسيقية، بل يحرك أطرافه على وَقْعِها، وهو فى سن ما بين الثانية والثالثة، يتحرك، ويسير، ويمشى، وقد يقفز على وقع الأنغام البسيطة وهو يطلق (صفارته) كصوت، ولا يبدأ فى توقيع أنغام عليها إلاّ بعد سنوات، غير أنه يستطيع أن يميز بين الأنغام من سن مبكرة. . وتجتذبه الموسيقى المرحة، فيسعى إليها، وما من شىء يجمع الأطفال مثل (الطبل والزمر)، لذلك كان يلجأ إليها باعة الحلوى وأصحاب صندوق الدنيا، وغير ذلك ممن يتكسبون من لعب وبضاعة تستهدف الصغار، ومن هذه السن المبكرة تبدأ أجهزة الإعلام تدريب الأطفال على الاستماع إلى الموسيقى، وتحاول لفت أنظارهم وآذانهم إليها، وتنبيههم إلى هذا العالم الواسع المسحور، ويرددون لهم القصص الصوتية الموسيقية، و (الحكايات المصورة). .

والقصص عبارة عن أصوات (قطارات مثلا) تتنوع لتصبح شيئًا قريبًا من الأنغام الموسيقية، وتتداخل معها ألحان بسيطة تتناغم معها. . بجانب تلحين قصص (بلا معنى) لا تستهدف إلاّ النطق بكلمات مركّبة منغّمة، لدينا منها الكثير، مثل:

ـ يا مَطرة رُخِّى رخّى. . .

وقد حاولنا تقليد هذه القصص بواحدة من أشهر أغانى الأطفال الحديثة، مثل:

ـ كان فيه واحدة ست. . عندها اتناشر بنت. .

فى يوم قالوا لها ياماما. . عايزين توت يا ماما. . جابت لهم توت. . فى وابور بيقول توت. . . كل واحدة أكلت توتة توتة. . فرغت الحدوتة. .

وواضح المزاوجة ما بين (التوتة) و (التوت)، وهو صوت القطار عند الأطفال، والقصة بلا أى أهداف تربوية أو تعليمية، فهى مجرد كلمات، فيها نغم بسيط. . ولهذه الأغنية قصة بالغة الدلالة، رواها (بابا شارو) فقد تم تلحين الأغنية، وعندما حان موعد إذاعتها على الهواء اضطرب الطفل الصغير ـ وعمره ثلاث سنوات ـ ولم ينطق بالكلمات، برغم تكرار إذاعة اللحن، واضطر (بابا شارو) إلى أن يختار من بين (الكورس)، الفريق المصاحب للصغير طفلاً عمره عشر سنوات، غنى بدلا منه. وسُجلت الأغنية أثناء تقديمها،

وأُعيدت إذاعتها، لكنها ظلت بعيدة عن النجاح المرتقب. . وأصَرَّ (بابا شارو) على إعادة تقديمها بواسطة الصغير ـ ابن السنوات الثلاث ـ ونجح في تشجيعه إلى أن غناها، وتم تسجيلها، وفي اليوم التالي لإذاعتها بصوت الصغير كان كل الأطفال في الشارع يرددونها. . وكل ذلك يؤكد حساسية الأطفال البالغة للأصوات: فالكلمات واحدة، وكذلك اللحن، والإذاعة التي تقدمها، وما من فارق سوى أن صوت الصغير الذي غناها أنسب لها، ومن هنا كان النجاح.

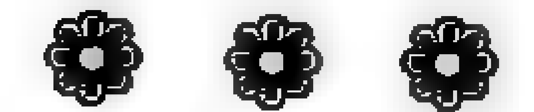
ومما لاشك فيه أن أنغامًا وألحانًا بذاتها تصلح لعمر معين، ولا تصلح لسن أخرى، فهناك (قاموس موسيقي وغنائي) للطفل، كالقاموس اللغوي، ففي السن المبكرة يكتفي ـ عزفًا وسماعًا ـ بالآلات البسيطة، مثل: الصفارة، والطبلة، والرق، والمثلث، والإكسليفون. . ولسنا نريد أن نخلق من الطفل (موزار) آخر ـ فقد كتب الموسيقى وهو في السادسة من عمره ـ وكان طفلا معجزة، وكان حواره رائعًا مع الشاب الذي سأله:

ـ كيف أكتب سيمفونية؟

ـ مارلت صغيرًا على كتابتها.

ـ أنت كتبتها وأنت في السادسة من عمرك.

ـ ولكنني لم أسأل أحدًا كيف يكتبونها!



أغنية الطفل الناجحة

مواصفاتها ومميزاتها:

قد يسأل سائل:

ـ ماهى «مواصفات» الأغنية الناجحة للطفل؟

وفى محاولة للإجابة نقول: إن فكرة الأغنية وموضوعها يأتى فى المقام الأول، ويجب أن يكون مناسبًا للمرحلة العمرية التى تتجه إليها الأغنية، ومن الضرورى أن تكون الفكرة واضحة، والموضوع مما يهم الطفل. وأغنية الطفل يجب ألاّ تتناول أكثر من فكرة واحدة، وألاّ تدور حول أكثر من موضوع، وتأتى بعد ذلك بساطة الكلمات وحُسن اختيارها، بحيث لا تخرج كثيرًا عن قاموسه، ولا بأس هنا من التكرار، إذ هو مع الأطفال ممتع، وهم ليسوا كالكبار، إذ لا يشعرون بالملل إزاء ذلك، بل العكس هو الصحيح، وكثيراً ما تستهويهم أغنية، فنراهم يرددونها مع المطرب أو المغنيين إذا كانوا جماعة.. كما أن الأغنية إذا ما صُنعت فى قالب درامى أو قصصى فسوف تلقى المزيد من الإقبال من جانب الأطفال، ولسنا بحاجة للقول إلى أن الاختيار لبحر الأغنية ووزنها يقف وراء نجاحها، والبحور الطويلة بالطبع لا تصلح لهم، بل لابد من أن تكون المقاطع قصيرة، منغّمة، موقّعة.. وكثيرون يستخدمون كلمات صوتية يطرب لها الصغار (فى وابور بيقول «توت»)، وتقليد

أصوات: الحيوانات، والآلات، والطبيعة، والبشر، ممتعٌ لهم، ويُدخل السرور على قلوبهم، شريطة أن يتسم ذلك بالمرح.. وإيقاع أغنية الطفل - عكس ما يتصور بعضنا - يحتاج إلى السرعة، فذلك طابعهم وطابع العصر، أمّا الغناء الممدود البطيء هو الذى يشعرهم بالملل ويصرفهم عنه.

وقد تكون الأغنية قائمة بذاتها، وقد تدخل فى إطار عمل تمثيلى درامى، كالأوبريت، وهنا لابد ان تستخدم بشكل عضوى، وألاّ يحس الصغير أنها مقحمة على العمل، بل يشعر أنها من صلبه، وجزء لا يتجزأ منه، ولها دورها الأساسى، بحيث أنها إذا سقطت من العمل سقط العمل بالكامل.

وكثيرًا ما تُستخدم الأغنية كمقدمة للبرامج، لاجتذاب الأطفال إلى عمل بذاته، وقد تكون مقدمة لبرامج الأطفال ذاتها.. وقد أُسيء استخدام أغنية الطفل فى السنوات الأخيرة، خاصة الفلكلورية منها فى الإعلانات، وذلك بالطبع مرفوض من جانب الذين ينشدون المحافظة على التراث والقيم التراثية، الأمر الذى دفع باليونسكو للتدخل فى هذا الأمر، ومناشدة المؤلفين والموسيقيين عدم استغلال «الموتيفات» الشعبية فى أعمالهم بشكل يدمرها أو يسيء إليها.. إذْ إنَّ البعض يجد أن هذه الألحان مما يستهوى الصغار ويجتذبهم، لذلك فإنهم يسطون عليها، ويأخذون منها، أو يُضيفون إليها صورة لا تحتفظ لها برونقها وجلالها التاريخى..

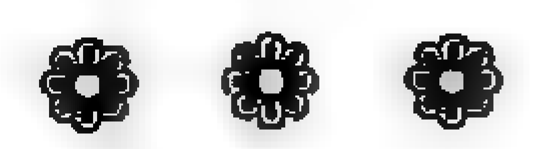
وممّا يزيد الأمر سوءاً أن تُستخدم فى الإعلانات التجارية وفى ترويج السلع، الأمر الذى يُسىء للتراث وللأطفال معًا.

وهناك قضية تثور بين وقتٍ وآخر:

ـ هل يُغنى الكبار للأطفال أم يُغَنى الطفل للطفل؟

وهذا السؤال كثيراً ما يُثار حول كثير من قضايا ثقافة الطفل.. وفى تصورنا أن محاولات الأطفال للتعبير: كتابةً، وتمثيلاً، وغناءً، ما هى إلاّ تدريب لهم ومحاولة للكشف عن مواهبهم.. أمّا الثقافة الحقيقية للأطفال فلابد أن يبدعها أناس كبار لديهم الموهبة، والصبر، والفهم، والوعى، على أن يصقلوا كل ذلك بالدراسة والتدريب.. وهنا لابد أن ترد تلك العبارة الشهيرة:

أن تمثّل للأطفال وتؤدّى يجب أن يكون بشكل أفضل مما تمثّل وتؤدّى للكبار، والذى يُقال عن التمثيل ينطبق على الكلام عن الغناء والموسيقى، والتأليف والكتابة، والرسم، وعلى غير ذلك من فنون تُقدم للأطفال، إذ إنها تحتاج من صاحبها أن يكون موهوبًا متمكنا من فنه أولاً، ودارسًا للطفولة ثانيًا، وساعتها نستطيع أن نقول: إن فى استطاعته أن يُبدع فى كتابة الأغنية أو تلحينها أو أدائها.



الأغنية والموسيقى

هدف ووسيلة:

الأغنية فى ذاتها ممتعة، وسبيل لزرع المُثُل، وتقديم المعلومات، وإثارة الأفكار.. بل هى وسيلة لتقريب الشعر للأطفال وتقديمه إليهم.. وموسيقاها بالنسبة للأذنين كالصورة للعينين، والطفل يستغنى عنها رويداً ويصبح قادراً على قراءة الكلمات دون حاجة إلى اللحن أو الصورة.. وقد غاب طفلنا العربى عن ساحة الشعر ـ الذى هو فن العروبة الأول ـ حتى إن هناك إحصائية تقول: إن ٣٪ فقط من الأطفال هم الذين يقرءون الشعر المنشور فى المجلات، والباقون يمرون عليه عابراً، باعتباره كتلة تشكيلية داخل الصفحة.

والموسيقىّ ـ فى رأى شاعر الأطفال فاروق سلوم ـ مطالب بعدم إغفال الحركة الديناميكية التى يتمتع بها الطفل، وطابع المرح، وإعطاء الكلمة حجمها الصوتى ومكانتها، وتناوب الصوت والنغم والغناء مع الأداء الموقّع، مع مراعاة طابع البساطة فى اللحن، بما يكفل تصوز المعنى والابتعاد عن التعارض، وتوخى التكرار، وتجنب الألحان المعقدة، والسلالم والمقامات الصعبة، واستلهام الموسيقى العربية الأصيلة وتبسيط ألحانها بما يكفل أداءً موسيقيّا متكافئًا مع الكلمة، ليعطى الأغنية الموجهة للطفل طابعها، ويجعلها وسيطًا موضوعيا لهدفين مزدوجين: تربوى: فى إطار المران وإثراء الحس الموسيقى.. وثقافى: من خلال المعلومة، والقيمة، والفكرة التى

يُراد إيصالها، فضلاً عن دورها اللغوى الذى يمكن أن تؤديه بيسر وسهولة.

إننا كثيراً ما نسمع الأطفال يتغنون بكلمات ليست ضمن قواميسهم اللغوية، وتدهشنا قُدرتهم على نطقها وترديدها كالببغاوات.. ومحاولات الطفل للغناء تحمل فى ثناياها تدريبًا خاصًا على نُطق الكلمات، والسيطرة على مخارج الحروف، بما يمكّنه مستقبلاً من التعبير عن نفسه بشكل سوى وسليم.. كما أن الأغنيات تزيد من ثروة الطفل لغويا، وتضيف إليها، وتجعله أكثر قدرة على استخدام الكلمات والعبارات.

وفى تقديرنا أن الأغنية فى حد ذاتها هدف.. ويجدر بنا ألاّ نحد من ذيوعها وانتشارها، بل علينا أن نعمد إلى ذلك بكل السبل.. غير أنه فى مقدورنا استثمار الأغنية كوسيلة تربوية وتعليمية، شريطة ألاّ تبدو كذلك، بل يجدر بنا أن نفعل ذلك بأسلوب غير مباشر، وإلاّ نفّرنا الأطفال منها، وضاع الهدف من كونها أغنية، ولم تحقق ذاتها كوسيلة وأسلوب.. إننا بحاجة إلى مقدرة فائقة لكى تجمع الأغنية بين الأمرين معًا: أن تكون ممتعة كأغنية، وأن تؤدى دورها التربوى التعليمى.. وهنا يمكننا مناقشة أغنية «ماما زمانها جاية»، ونتساءل:

ـ هل نجحت كأغنية؟ وهل لقيت منهم القبول والرضا؟

ـ هل وُفقت فى تقديم المفاهيم التى حاولت زرعها في نفوس الأطفال؟

وماذا عن نجاح أغنية مثل «كوكو واوا» التى لا يفهم الأطفال كلمة واحدة منها، لأنها بالأسبانية؟

❀ ❀ ❀

الأغنية والموسيقى

بين التعليم والإعلام:

وإذا كانت الموسيقى والغناء لهما كل هذه الأهمية، فلابد أن يأْخَذا دورهما ومكانتهما بين ألوان التربية.. يقول «أفلاطون» فى كتابه (الجمهورية):

«إننا نعلق أهمية قصوى على التربية الموسيقية لأن الإيقاع والتناسق يغوصان إلى أبعد الأعماق من أغوار الروح، ويسيطران أقوى سيطرة عليها، حاملين معها دقة ورقة التماثيل، ومؤثرين فى الإنسان بما يجعله رقيق الشمائل إذا أحسن المنهل».

ويضيف: «إن فقدان الجمال والإيقاع والتناسق مرتبط بالفساد وسوء الخُلُق».

وللطفل نزعات فطرية يجب أن تستفيد منها التربية، وصولاً إلى

تلك الأهداف الكبرى التى أشار إليها «أفلاطون»، «حتى لا يتطرق السوء إلى الأبناء كما قال.. والحق أن لدى الأطفال رغبة شديدة فى التقليد والمحاكاة، كما أن لديهم حبا للمشاركة الوجدانية والحركية، وهم قابلون للاستهواء، وليس أيسر من اجتذابهم إلى ما نريد.. بجانب شغفهم البالغ باللعب. ويضيف البعض إلى هذه النزعات الفطرية ميل الصغار إلى «التكرار»، فهم لا يملون منه.

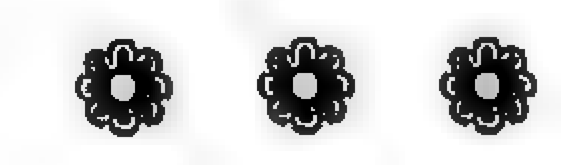
وإذا ما طُبقت هذه النزعات على مجال الموسيقى والغناء اكتشفنا إلى أى مدى يمكننا أن نفيد منهما، فلو أننا عزفنا موسيقى وتحرك طفل على إيقاعها قلده الآخرون وحاكوه، ولو أننا بدأنا بأغنية جماعية مناسبة لاشترك الأطفال معًا فى إنشادها.. خاصةً إذا اكتفينا فى موسيقانا هذه بآلات بسيطة لا تتجاوز الأكسليفون، والأوكورديون، والباص، والميلوديكا.. والموسيقى كفن: هدف، ورسالة.

إنها هدف نبيل نسعى إليه، ونعمل له.. وإنها لرسالة من أجل أن ينبغ بيننا طفل فى التأليف الموسيقى، أو في التلحين، أو فى الغناء.. وإنها لمهمة جليلة أن نخلق عازفين محترفين، أو يمتعون أنفسهم بعزفهم كهواية.. وإنها لمسئولية أن نجعل الأبناء متذوقين للموسيقى، ومستعمين لها فى وقت فراغهم، بل وخلال أدائهم لواجباتهم الدراسية المنزلية، ولعلّ فى ذلك تدريبًا لهم على أن يعملوا مستقبلاً على نغماتها، مما يزيد من إنتاجهم.

والغناء فضلاً عن ذلك وسيلة إلى غيره من الفنون.. كالموسيقى، والرقص، والأبريت، والأوبرا.. بل ويتود إلى الاستمتاع بالمسرح ـ (دراما وتمثيلا.. وديكورا) ـ فلنُثر اهتمامهم بها، ولها، ولنروِ لهم الكثير عن كتاب «الأغانى» وما منحه الخلفاء والسلاطين للموسيقيين من هبات وعطايا نظير موسيقاهم وأغانيهم الرائعة، ولنحكِ لهم قصة «الفارابى» ذلك الفيلسوف المسلم الذى عزف للقوم فأبكاهم، ثم عزف فأضحكهم، وعزف لينيمهم.. وخرج. ولنقص عليهم عن المطربين والموسيقيين ما يجعلهم يتعلقون بهم ويحبونهم ويقدرونهم.. قد مضى عهدٌ لقوا فيه الاحتقار والامتهان، ورُفِضُوا بالكامل.. علمًا بأن المغنى «زرياب» عندما زار الأندلس صار غناؤه وأسلوبه فى ارتداء الثياب وفى أكله أمثلة تحتذى في كل أوربا (كما حدث مع «خوليو» الأسبانى أخيرا).. لقد انعكست الآية، وصرنا نقلدهم بعد أن كانوا يقلدوننا.. لكنها الحضارة تفرض نفسها.. ونحن بحاجة ماسة إلى أن نستعيد ماضينا الفنى، انطلاقًا من جذوره مع مسايرة العصر.. والعرب قوم فُتنوا بالموسيقى والغناء، لكننا أخيراً أهملنا كل شيء، فالموسيقى حصصها لا تُحترم ومناهجها غير مطبقة، وهذا يلقى بعبء جديد على أجهزة الإعلام، لتعوّض الطفل عما يفوته فى المدرسة، فنقدم له الأغنية الحلوة، والموسيقى المرحة التى تُشيع في نفسه البهجة والفرحة، والقصص الحركية التى تصحبها الموسيقى قد تكون حافزاً للصغير على أداء هذه الحركات والروايات، التى تكون

الآلات الموسيقية بطلة فيها تشدو وتشدُّ الصغير بما تقدمه من أنغام وأحداث.

ويجب ألاّ تقع بعض المحظورات التى تقودنا إليها الرغبة فى تقديم الموسيقى للطفل.. الأمر الذى قد يُطرب ويُفسد الأجيال الجديدة فى ذات الوقت، واستخدام الألحان الفولكلورية ـ كما سبق أن ذكرنا ـ مما يسىء للفن الشعبى عامة، وهذا أمر واضح ـ بشكل نرفضه كل الرفض ـ فى الإعلانات، وهو شىء نحذّر منه ومن الاستمرار فيه، لأنه يدمّر ذوق الأبناء وتراثنا الموسيقى كله.



8

مسرح طفل
ما قبل المدرسة

مسرح طفل ما قبل المدرسة

المسرحية المكتوبة نص أدبى.. وهى قد تكون شعرية، وقد تتضمن أغنيات أو أناشيد، وهذه أيضًا تنتمى إلى الأدب.. لكن المسرح مجمع فنون: فن الإخراج، التمثيل، الحركة، الديكور، الملابس، المكياج، الإضاءة، الموسيقى، الغناء، الاستعراض.. وصولاً إلى فن المشاهدة الجماعية عند رفع الستار وسقوط الحائط الرابع.

والآن: ماذا عن المسرح لطفل ما قبل المدرسة؟

إن الكثيرين يستبعدون المسرح لطفل ماقبل المدرسة لسبب أو لآخر، فهم يرونه فوق طاقة هذا العمر الغض، ويظنون أنه لا يجدى معهم كثيرًا، فهم قد لا يفهمون ما يجرى أمامهم، ويخلطون خلال ذلك ما بين الواقع والخيال.. لذلك يتحدث هؤلاء عن مسرح الطفل اعتبارًا من سن السابعة، حين يتعرضون لعلاقة هذا المسرح بأعمار مشاهديه، ويعتقدون أن أطفال هذه المرحلة يمكن ن يكتفوا بألعابهم، لأن فيها من التمثيل ما يرضيهم، وإذا ما

شاركهم فيها الكبار وشجعوا فيهم الدافع الدرامى، فسوف يكبرون على فهم للمسرح وتقدير لرسالته، حتى لو لم يشاهدوه، ولم تُتح لهم الفرصة لمتابعته.

ونحن نختلف مع هؤلاء، لأن الطفل فى هذا السن يحب كثيرًا اللعب الإيهامى ويميل إليه، وهو يفتن بالدّمى والعرائس، ويهوى مشاهدتها، بل إذا أتيحت له الفرصة قام بتقليدها، ونرى أن المسرح متعة رائعة وصالح للطفل ومناسب له فيما بين سن الرابعة والسادسة.

وفى تقدير «بيتر سليد» أن: «الأصوات المختلفة تجتذب الطفل إليها منذ سنواته الأولى، وهو يحب هذه الأصوات، وترن فى أذنيه إيقاعات ونغمات، من خلالها تتدرب الأذن على سماع الموسيقى، والألحان، والأوزان».

وأداء الأدوار والتمثيل نشاط عقلى وجسدى يجلب متعة للمؤدين والمشاهدين، فلماذا نحرم منه هؤلاء الصغار الذين كثيرًا ما يحلو لهم أن يؤدوا أدوارًا غير أدوارهم فى الحياة مقلدين أو متقمصين لشخصيات يلتقون بها، أو يشاهدونها؟!.

إن «بيتر سليد» ـ رائد المسرحية الإبداعية الحديثة ـ يرى أنه من الضرورى أن يشاهد الأطفال المسرح، وأن يؤدوا بعض الأدوار المناسبة على خشبته، على أن تُترك لهم الحرية فى أن يختاروا

بأنفسهم لأنفسهم الأعمال الأدبية التى يؤدون أدوارها، ليكونوا مؤدين ومشاهدين فى الوقت نفسه، وعلينا أن نكتفى بمساعدتهم، بأن نعرض عليهم قصصًا تستهويهم لكى يقوموا بأدائها.

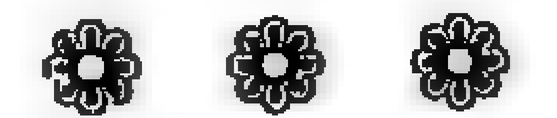
ومن هنا لابد لنا أن نناقش موضوع «النص الأدبى» لمسرحية موضوعة لأطفال ما قبل المدرسة، وقد تكون لمسرح بشرى، أو يرتدى ممثلوه أقنعة وثيابًا لحيوانات أو أشياء يؤدون أدوارها، كما أنها قد تكون مسرحية للدّمى القفازية أو التى تحركها الخيوط، وربما تكون مقدّمة إليهم من خلال خيال الظل.. وقد يتضمن العرض المسرحى أكثر من لون من هذه الألوان، جذبًا للأنظار وإبهارًا للصغير.

ومسرحية طفل ماقبل المدرسة لابد لها بدايةٌ أن تشد الصغير إليها، وتجتذبه، وتجعله يتابعها فى شغف شديد.. ولسنا بحاجة إلى أن نشير إلى ضرورة أن تكون بسيطة غاية فى البساطة، وأن تدور حول فكرة واحدة، حتى لا يتشتت ذهنه، كما أنه لابد أن تكون عبارات الحوار واضحة، وقصيرة، وأن تكون اللغة المستعملة داخل المفردات المعروفة للطفل، أو تتجاوزها قليلا، من أجل أن نزيد من ثروته اللغوية.. ومن المهم أن يمتلىء العمل بالحركة - على ألاّ تكون عشوائية، بل مرسومة ومحسوبة، ومن الممكن أن تنوب الحركات عن الكلمات، ويجدر بالعمل أن تتنوع أماكن وقوع أحداثه، ليتنقل الممثلون بين هذه الأماكن، وبذلك لا يمل الصغير

من متابعة ما يجرى في ديكور واحد ثابت، فى حين أنه فى حاجة إلى التبديل والتغيير باستمرار.

ولا تصلح خشبة المسرح التقليدى بالستارة المسدلة عليه للأطفال فى هذه المرحلة، والأفضل استعمال المسرح الدائرى الذى يجلسون فيه من حول مساحة يجرى من فوقها التمثيل، وما من ضرورة لأن يسود المكان ظلام كثيف.

ولما كان مسرح الطفل فى وطننا العربى يسير بخطى متعثرة، إلى حد أن ملايين الأطفال يعبرون مرحلة طفولتهم دون أن تتاح لهم مشاهدة ولو مسرحية واحدة، فما بالكم بالصغار قبل المدرسة، لذلك تطلعنا دائمًا إلى معرفة ما يجرى فى هذا المجال فى البلاد المتقدمة، وكنا نسعى لمشاهدة عمل مسرحى للصغار حتى نقطع برأى فى هذا السبيل، إذ لا شك أن هنالك عشرات من التجارب العالمية تستهدف تدريب الأطفال على تذوق الدراما. والاستمتاع بالمسرح فى سن مبكرة، وتفتح لهم الطريق إلى مشاهدة أعمال تمس وجدانهم، وتفتح عيونهم على هذا المجمع من الفنون التى تجعلهم يتابعونه على مدى العمر، وما من مبرر قط لأن تمضى هذه المرحلة السنية بدون تعرف على المسرح بكل ألوانه، ونحن فى أمس الحاجة إلى تقديم أعمال مسرحية لهم فى عمرهم المبكر.



مشاهدة تجربة عملية

فى مسرح طفل ما قبل المدرسة:

أتيحت لى أكثر من فرصة لكى أشاهد هذا المسرح.. وكانت التجربة المسرحية المثيرة في نيويورك، وهى تستحق أن تسجّل وتروى، لأنها نموذج فريد في بابه.

١ ـ المسرح لا يدخله الكبار، إلاّ إذا كانوا بصحبة الأطفال.. إذن ما العمل وليس معنا أطفال؟

كان لابد من لقاء بالمدير، لنشرحُ لهُ اهتمامنا بالطفل ومسرحه، وأننا من بلد بعيد.. فوافق على أن نشهد العرض بدون أن نكون بصحبة الأطفال.

٢ ـ بدأنا بملاحظة أنهم يعطون الكبار تذكرة عادية، بسيطة، وتذكرة الصغار مختلفة، إذ هى تذكرتان ملتصقتان، من خلال ثقوب، ويسهل فصلهما.

سألنا: لماذا هذا؟!

الجواب: حين نأخذ من الكبار تذاكرهم بالباب يعرفون أن ذلك شيء طبيعى، أما الأطفال فإنهم كثيراً ما يكونون متصورين أننا لن نسمح لهم بالدخول، وبعضهم يرفض أن يعطيها لنا.. لذلك حللنا المشكلة بالتذكرة (المشرشرة) من الوسط، نأخذ جانبًا منها ونترك للطفل الجانب الآخر ليطمئن.. وكثيرون يحتفظون بها

للذكرى لفترات قد تطول، وهؤلاء يبغون هواة للمسرح وأصدقاء له.

٣ ـ على الباب وجدنا الممثلين والممثلات ـ بملابسهم المسرحية ـ يستقبلون الأطفال، ويلاطفونهم، ويداعبونهم.. قبل أن يدخلوا إلى القاعة، وكان لابد أن نسأل:

ـ لماذا هذا؟

ـ بعضهم يخاف عندما نبدأ فى الظهور فى ثيابنا هذه، ونريد لهم أن يتعودوا علينا وعليها قبل ذلك، ونرغب فى أن يألفونا، فلا نزعجهم بالظهور فجأة أمامهم فى دائرة المسرح بملابسنا الغريبة العجيبة.

٤ ـ ولاحظنا أنهم يفصلون الأبناء عن الآباء.. ولا يجلس الأطفال قط مع ذويهم.. الكبار فى جانب والأطفال فى جانب آخر.. وذلك من البداية حتى النهاية.. ولما سألنا: لماذا؟

قالوا:

ـ لا نريد من الآباء أن يشرحوا... والأبناء يكونون أكثر انضباطًا إذا لم يكن آباؤهم بجوارهم.. بجانب أنهم يشعرون بالحرية والاستقلالية والقدرة على الاعتماد على النفس.

٥ ـ بعد أن دخل الجميع، وأغلقت الأبواب فوجئنا بفتاة لطيفة توقف كل الأطفال فى طابور.. واندهشنا.. إلى أين تذهب بهم جميعاً قبل العرض؟! سألنا: قالوا:

- نحن نقودهم إلى «بيت الراحة». . (وهى الكلمة العربية التى مازلنا نستعملها فى ريف مصر).

قلنا: هذا تقليد جديد علينا، ماذا وراءه؟

- لانريد لهم أن يغادروا أماكنهم أثناء العرض!

وكان العمل الذى شهدناه يدور حول قصة «أليس فى بلاد العجائب»، وهى للكاتب «لويس كارول»، وتعد واحدة من أروع كلاسيكيات أدب الأطفال فى العالم. . وإعدادها للمسرح كان دائمًا من الصعوبة بمكان، إلى حد أن كثيرين قالوا إنها ليست صالحة لذلك. . وقد اكتفى العرض الذى قُدِّم بشريحة من الرواية، وتضمنت هذه الشريحة (حفل الشاى المجنون). . بجانب بعض الأحداث التى وقعت مع الصغيرة «أليس» حين اقتفت أثر الأرنب إلى جحر، قامت فيه بمغامرات لطيفة مع شخصيات عديدة، وقد عُرضت الرواية كفيلم، ولدى الأطفال المشاهدين فكرة عن العمل من قبل (قصةً، وتلوينًا).

وكان أن أشركوا الصغار الذين قَدِموا لمشاهدة المسرحية بأن أجلسوا عددًا منهم حول المنضدة التى تُوضع من فوقها الحلوى وأكواب الشاى. . والطريف أنهم اندمجوا تمامًا فى أداء هذا الدور البسيط الذى لا يتطلب أكثر من تقليد الذين يشربون الشاى في مثل هذه المناسبة، ويأكلون الحلوى ضاحكين فرحين. . وما من حلوى هناك ولا شاى!

وفى تقديرنا أن العمل قد نجح نجاحًا كبيرًا، وقد تعرفنا على [illegible] الآباء والأمهات خلال العرض، وأتاحوا لنا فرصة إجراء حوار مع أبنائهم، أكد لنا أنهم فهموا الكثير واستمتعوا بما شاهدوه.

❁ ❁ ❁

تجربة شخصية لمسرح ما قبل المدرسة

وكانت هذه التجربة الموفقة هى التى جعلتنى أنحاز بقوة إلى الذين ينادون بضرورة إقامة عروض مسرحية لأطفال ما قبل المدرسة. . وبعدها تتابعت مشاهداتى لأعمال مسرحية أخرى، لكن بقيت التجربة الأولى أكبر أثرًا وأعمق، وهى التى حفزتنى لمحاولة كتابة (نص مسرحى أدبى) يمكن أن يُقَدّم فى عرض لهؤلاء الأطفال الصغار على أن تكون لهم خلفية ـ ولو بسيطة ـ عن العمل المقدّم، كأن يكون حول شخصية مشهورة معروفة لهم، أو أن يكون قصة أو حكاية رويت لهم من قبل، وبشكل متواتر، وذلك يتيح لهم فرصة أكبر لفهم ما يدور أمامهم، وهناك من قصص الحيوان ما هو ميسور تقديمه للصغار الذين يهوون تقمص شخصية حيوان بذاته.

وأتيحت لى فرصة فى «واشنطن» العاصمة أن أحكى قصة

تمثيلية شاركني فيها الأطفال بدون أى لون من ألوان التدريب، وكانوا تلقائيين وموفقين كل التوفيق. . رويت حكاية (جمل) يأكل كثيراً . . وارتديتُ جلبابًا مغربيًا واسعًا، وأديتُ دور الراوى والجَمَل معًا. . قلت إننى جمل يأكل كثيراً، ويأكل أى شيء يلقاه فى طريقه، وإننى جائع جداً، لذلك سرْتُ أبحث عما يشبع جوعى، قابلتُ فى الطريق قطة، وسألتهم: ماذا تقول القطة؟! . . وكان لابد أن يبادر بعضهم بالمواء تشبهًا بالقطة، واستدعيتُ أعلاهم صوتًا وداعبته، وأقنعته بلطف شديد أن آكله، وذلك بأن أضعه تحت جلبابى، وسرت أنا الجمل لألقى كلبًا، والسؤال: ماذا يقول الكلب، وبدأت اللعبة تجتذبهم، وأصدر عدد أكبر نباحًا، فاخترتُ واحدًا قريبًا منى وأدخلته تحت الجلباب مع القطة، والطريف أنهما راحا في مكانهما يداعبان الموجودين بالاستمرار فى المواء والنباح. . وسرْتُ لألقى بعد ذلك حماراً، ووضعته تحت الجلباب. . الطريف أن هناك شقيقًا أصغر كان برفقة أخيه الذى رفع من صوته بالنهيق، وبكى الصغير لكى آكله مع أخيه. . واستمر (الجمل) فى لقاء حيوانات أخرى، مثل الخروف، بل قابل طيوراً مغرّدة، وظل يلتهم كل ما يلقاه، وكثر لَغَطُ الأطفال وعبثهم بعد أن تضخم الجلباب، وكان لابد من أن نكتفى بهذا القدر من اللعب. . ويقابل (الجمل) إنسانًا، ويريد أن يأكله، لكن الإنسان يقول له فى حسم:

ـ ربما تستطيع أن تأكل غيرك من الحيوانات، لأنها أضعف

منك.. أمّا أنا فإننى قوى.. لسبب بسيط، هو أن عندى (مخ) ولى عقل يفكر.. ولن تتمكن أبداً من ابتلاعى.

ويمسك الإنسان ببلطة أو فأس يفتح بها بطن هذا (الجمل) الشره، وعند ذلك بدأت الحيوانات تخرج منه.. وناديتُ على القطة أن تخرج، وزحفت من تحت الجلبات، «وأنا أقول: إنها خرجت تموء»، وفعلاً خرجت صاحبة دور القطة وهى تموء، وضحكات الأطفال تتعالى.. وبعد ذلك خرج صاحب دور الكلب وهو ينبح.. وهكذا.. والأطفال فى قمة السعادة.. كما خرج الحمار.. والخروف والعصفور، وما إلى ذلك من حيوانات.. بعدها أخذ الإنسانُ الجَمَل إلى الخياط أو الطبيب، لكى يخيط له بطنه، ثم اقتناه الإنسان، وحوّله إلى سفينة للصحراء تنقله، وتنقل حاجاته.

وأذكر أن الأطفال أبدوا رضاهم عن هذا العمل شبه المسرحى، والذى كان لمشاركتهم فيه أثرٌ كبير فى تجاوبهم معه، والاستمتاع به، ويومها تقدمت منى طفلة تحيينى وتقول لى:

ـ لقد قدمت عرضًا رائعًا!

وتقدم شقيقها ليقول لى:

ـ لكنك يا سيدى التهمت حمارين ولم يخرج من بطنك غير حمار واحد، أين ذهب الثانى؟!

وقهقه الأطفال ينتظرون الرد، فقلت لهم:

ـ سوف أصحبه إلى مصر، وسينتظركم هناك لتركبوه حماراً أمريكيّاً لطيفاً، يدور بكم ويلف حول أهرام الجيزة، حين تأتون لمشاهدتها!

❁ ❁ ❁

9

على كوجيا
أول دراما إبداعية فى العالم

على كوجيا أول دراما إبداعية فى العالم

بعد أن نجح المسرح مع أطفال ما قبل المدرسة، كان لابد من التفكير فى استخدام الدراما الإبداعية معهم.. كما كان من الضرورى الاستفادة منها وإلقاء الضوء عليها.

هناك من تمادوا وحاولوا الاستفادة من الدراما الإبداعية.. وفيها يتشكل فريق من الأطفال مع مُرَبٍّ أو مُخْرج يحكى لهم قصة، ويحدد معهم شخصياتها وأبطالها، ويسألهم: من منهم يصلح لأداء دور كل شخصية منها، ثم يقومون بتمثيل العمل، مختارين لأنفسهم كلمات الحوار الذى يدور، وذلك بطريقة تلقائية، تعينهم على التعبير عن أنفسهم.

ولمّا كنا ـ نحن العرب ـ أول من ابتكر «الدراما الإبداعية» من خلال قصتنا الشهيرة «عَلِىّ كُوْجيا»، لذلك كان لابد من منح هذا اللون فرصة للذيوع والانتشار من خلال تجربته مع الأطفال..

«على كوجيا» عمل مثير، ربما يصعب فهمه على الأعمار الصغيرة، إلاّ أنه نموذج يمكن أن ننسج على منواله.. ولذلك نود أن نعرضه

فى شىء من التفصيل، خاصةً أنه يُعد أول دراما إبداعية فى العالم كما ذكرنا.

هذه القصة يقال إنها حدثت على أيام هارون الرشيد، وقد تناولها المرحوم «كامل كيلانى» بقلمه في عرض جَذَّاب لفت إليها الأنظار تحت عنوان «تاجر بغداد»، وعرفها كثيرون بعنوان «قِدْرَة الزيتون»، وقد قُدمت فيما بعد من خلال الإذاعة والتليفزيون، بل المسرح فى الكويت وغيرها، إذ هى فى الواقع نموذج فريد لأدب الطفل، لأنها أدركت من وقت مبكر أن عالمه يختلف كثيراً عن عالم الكبار.. ونحن نركز هنا فى عرضنا لها على هذه الخصوصية.

«عَلِىّ كُوْجيا» تاجر، فكر في السفر وأعدَّ له، وتبقى معه ألف دينار، خشى أن يأخذها معه، ورأى أن يودعها لدى صديقٍ له من التجار، فوضعها فى «قِدْرة»، ومن فوقها كمية من الزيتون.. وسافر ثم عاد بعد سنوات طويلة يطلب وديعته، وإذا به يكتشف اختفاء النقود، فرفع أمره للقاضى الذى برّأ الرجل، واضطر «على كُوجيا» أن يلجأ إلى هارون الرشيد نفسه، وفى ذلك الوقت كان الخليفة يطوف بالمدينة والتقى بمجموعة من الأطفال يمثلون حكاية «على كوجيا» مع التاجر، وكان أن طلب الطفل الذى يقوم بدور القاضى أن يأتى التاجر بقدرة الزيتون ويفتحها، ليجد أن الزيتون حديث،

وبذلك كشف ألعوبة التاجر الخائن. . واستدعى الخليفة الطفل القاضى ليحكم فى القضية الأصلية فأدان التاجر.

وما من شك فى أن هذه ـ فى تقديرنا ـ دراما إبداعية قام بها الأطفال أمام الخليفة، وأنهم بها قد أناروا له الطريق بالنسبة للقضية الأصلية، وكان قد شاع أمرها وذاع بين الناس، ليصل إلى الأطفال ليصنعوا منها هذا العمل الإبداعى، أى أن هذه الدراما التلقائية ورثناها عن طريق تراثنا العربى الأصيل، وليست وليدة «بيتر سليد»، أو بعض أساتذة الإبداع أو التربية فى هذا العصر الحديث، بل هى تراث عربى قديم يقف رائعًا وشامخًا، مؤكداً قُدرة الإنسان العربى على الإبداع. . ثم هى أيضًا تثبت أنه كان لديهم مسرح فى الشارع، وأنهم ـ أى الأطفال ـ كانوا يقومون بالتمثيل والاستمتاع بالإبداع والمشاهدة فى الوقت نفسه. . لكن يبرز سؤال:

ـ لماذا لم ينتشر مثل هذا العمل الابتكارى؟

نعتقد أن الأمر لابد أن يكون قد انتشر من خلال ما ابتكره العرب من أعمال درامية، من خلال فن «خيال الظل»، و«الأراجوز»، فقد لوحظ أن حكايات من هذا القبيل تتخلل الأعمال الطويلة التى أدّاها «المُحبّظاتية»، وأن عدداً منها قد عرض فى «السامر»، ومن خلال «الحكواتى» و«الراوى»، سواء فى المقاهى أو فى أثناء جولات فى القرى والأرياف.

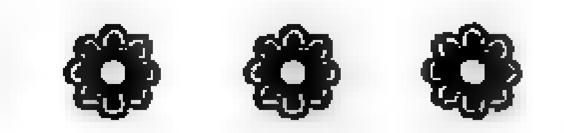
والموضوع الذى يجدر بنا أن ننشغل به هو:

- هل يمكن استثمار هذا اللون من المسرح مع أطفال ما قبل المدرسة؟

نحن نعترف بأن أطفالنا عاجزون إلى حد كبير عن التعبير عن أنفسهم، فما من أفكار وتجارب لديهم ثرية وغزيرة، وما من ثروة لغوية تساعدهم على التعبير عنها إن هى وجدت، وإذا تحققت هذه وتلك نكتشف أنه ليست لديهم الشجاعة الكافية لذلك.. ونحن بحاجة إلى قَصصٍ ذهنى مستمر لعقولهم الغضة، كما نود أن نُدخلهم فى تجارب تُثرى هذه العقول، ولابد أن نزيد من قدراتهم على التعبير وامتلاك ناصية اللغة، بجانب تشجيعهم على أن ينطلقوا.. وما نظن أن هناك سبيلاً لكل ذلك أفضل من الدراما التلقائية، التى أبدعناها ونسيناها.

لذلك فنحن فى مسيس الحاجة إلى هذه الدراما التى تُعْنى بتحويل المشاهد الخيالية التى يراها الطفل على المسرح إلى واقع مُعَاش.. والطفل فى هذه الدراما «ممثل» و«متفرج» و«مؤلف» للحوار، بمعنى أنه يؤدى دوراً، ويشاهد نفسه، ويختار بنفسه لنفسه الكلمات التى تجرى على لسانه، وهو بذلك يكتشف الكثير من نواحى الحياة، وأيضًا ينمو ويتطور، إذ يُعَبِّر عن نفسه وعن الشخص الآخر الذى يتقمص دوره، ويمارس لونًا من الحرية المنظمة، ويتدرب عليها.

إن النص الأدبى المكتوب هو الأساس الأول الذى تقوم عليه كل ألوان الفنون المسرحية، وعلى جودته يعتمد النجاح للعرض.. لذلك يجب أن تكون العناية به كبيرة وجادة.



10

نحو ببلوجرافيا
لكتب مسرح الطفل العربى

نحو ببلوجرافيا لكتب مسرح الطفل العربى

فى السنوات الأخيرة ظهر اهتمام كبير بمسرح الطفل تمثّل فى عدد الكتب الصادرة عنه.. ولكى نعفى أنفسنا من الإسهاب فى الكتابة نحيل المهتمين إلى هذه القائمة:

١ ـ الهراوى رائد مسرح الطفل العربى . .

(مع مقدمة ضافية عن مسرح الطفل) (١٤٢ص).

عبد التواب يوسف..

(دار الكتاب المصرى اللبنانى) القاهرة ١٩٨٧م.

٢ ـ مسرح الطفل..

رسالة ماجستير (٢١٦ص).

محمد حامد أبو الخير..

(الهيئة المصرية العامة للكتاب) القاهرة ١٩٨٨م.

٣ ـ مقدمة فى مسرح الطفل (١٢٠ص).

حسب الله يحيى . .

(دار الرسالة ـ بغداد) بغداد ١٩٨٥م.

٤ ـ النشاط التمثيلى للطفل (١٠٤ص).

محمد بسام ملص . .

(دار الشئون الثقافية ـ بغداد) بغداد ١٩٨٦م.

٥ ـ الأطفال والمسرح (طبعة ثانية ١٩٨٤م) (١٤٦ص).

محمد شاهين الجوهرى . .

٦ ـ مسرح الأطفال (مترجم) (٣٨٠ص).

محمد شاهين الجوهرى . .

(الهيئة المصرية العامة للكتاب).

٧ ـ فى مسرح الأطفال (١٣٤ص).

عبد الفتاح أبو معال . .

(دار الشروق للنشر والتوزيع) عمان ـ الأردن ـ ١٩٨٤م.

٨ ـ الطفل العربى والمسرح (١٦٤ص).

د. عواطف إبراهيم محمد.

د. هدى محمد قناوى . .

(مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٨٤م).

٩ ـ التمثيل فى المدارس (مترجم) (١٣٨ص).

ترجمة: د. رياض عسكر..

مراجعة: محمد فتحى.

(مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة ١٩٦٦م).

١٠ ـ الحلقة الدراسية حول مسرح الطفل.

(١٧ : ٢٠ ديسمبر ١٩٧٧م)..

(الهيئة المصرية العامة للكتاب).

مسرح العرائس:

١ ـ مسرحيات بلا ممثلين .. تأليف: بيتر ارنوت

(الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ـ ١٦٦ص).

ترجمة: الفريد ميخائيل.

٢ ـ مسرح العرائس .. تأليف: تحيه كامل حسين

(دار الكرنك ـ ٢٣٢ص)

٣ ـ مسرح الأراجوز .. تأليف: س. أبرازوف.

ترجمة: رمسيس ونان.

٤ ـ الدّمى المتحركة .. اعدّه للنشر: جوزف فاخورى.

(سلسلة منشورات مركز التدريب الاجتماعى ـ ١٩٠ص).

٥ ـ خيال الظل والعرائس فى العالم بقلم: مختار السويفى.

(الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ٢٠٠٠ص).

٦ ـ الدّمى المتحركة عند العرب.. تأليف: سعد الخادم.

(الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٢٠ص).

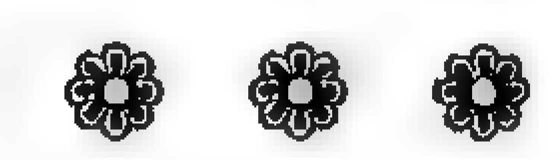
٧ ـ خيال الظل بقلم: أحمد تيمور باشا.

واللعب والتماثيل المصورة عند العرب.

(لجنة نشر المؤلفات التيمورية ـ ٨٠ص).

٨ ـ خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال.. د. إبراهيم حمادة.

(الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ٢٦٤ص).



آمال واحلام:

١ ـ عمل «ببلوجرافيا» كاملة للكتب الصادرة عن سن ماقبل المدرسة على مستوى الوطن العربى، وهو كمّ هائل، يستحق أن تضمه المكتبات التى تهتم بهذه المرحلة.

وإضافة لذلك، لابد من «ببلوجرافيا» أخرى للكتب الصادرة لأطفال هذه المرحلة، وهى لم تعد قليلة، وإنْ كانت لا تفى بالحاجة.

٢ ـ إنتاج برامج تليفزيونية مشتركة لهذه الفئة العمرية، حيث إن نفقاتها تثقل كاهل أى بلد، إذا أنتجها وحده، وتوزيع العبء على البلدان العربية يجعلها ميسورة وممكنه.. ومن الضرورى أن تحظى هذه البرامج بمكان مهم داخل المهرجانات التليفزيونية العربية، وأن تكون لها جائزة خاصة بها.

٣ ـ تشجيع تقديم برامج إذاعية لهذه الفئة، ومن الممكن أن تكون مشتركة بين دول الوطن العربى وبالفصحى.. وأيضًا يجب تخصيص جائزة لها.

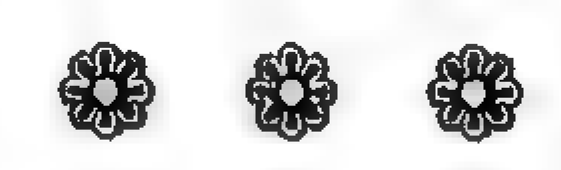
٤ ـ إصدار سلاسل كتب أدبية ـ وليست تعليمية فقط ـ لهذه السن على غرار (ليدى بيرد) فى إنجلترا، وكتب (ديك برونا) فى هولندا.

٥ ـ إصدار مجلة خاصة لهذه السن على مستوى الوطن العربى،

أسوة بما كان يصدر عن (افتح يا سمسم)، وهناك نماذج عدة، قامت بها بعض المراكز والمؤسسات، تحتاج إلى دعم مادى لصدورها، ويمكن تبنى بعضها.

٦ ـ إجراء مسابقات لتأليف مسرحيات، وكتابة سيناريوها للشاشتين الكبيرة والصغيرة، بهدف إثراء هذا المجال.

٧ ـ تبسيط كلاسيكيات أدب الأطفال العربى ليناسب هذه المرحلة ونشره على أوسع نطاق ممكن.



فهرس

طفل ما قبل المدرسة

يفتح لقارئه نافذةً سحرية ، ليطلّ منها ـ فى انبهار ـ على عالمٍ فسيح . . ملوّنٍ وبهيج من عوالم الطفولة الجميلة . . والبريئة ! . .

إنه عالَمُ الأدب (لسن ما قبل السادسة) ، الذى يعمل على إثراء وجدان الطفل ولغته ، ويوسّع خياله ، ويزيد معارفه بالناس والدنيا من حوله !

والكتاب يستعرض بإسلوبٍ سلِسٍ وجذّاب أدبيات هذه المرحلة العمرية من قصةٍ وقصيدةٍ وأغنية ، وكيفية الوصول بها إلى الطفل عن طريق : المجلات والكتب ، والإذاعة المسموعة والمرئية، وكذلك المسرح . ولقد قفزت هذه الوسائل العصرية ـ فنيًا ـ بصورةٍ مذهلة ، حتى أن هناك ـ على سبيل المثال ـ كتباً من « القماش » الذى يمكن غسله وكيّه ، ومن « المطاط » الذى يمكن للطفل اصطحابه معه فى حوض الاستحمام ، بل صارت هناك كتبٌ من «البلاستيك » و « الخشب » !

والمؤلف هنا يؤكد ـ فى ثقة ـ على حقيقةٍ مهمة ، وهى أن « أدب الأطفال » يعادل فى أهميته «التعليم » ، ولذلك فقد وضع فى ثنايا دراسته الشائقة خلاصة خبرته من أجل المشاركة فى بناء ذلك الإنسان . . الصغير ! .

فتعال عزيزى القارىء لتطير ـ فى متعة ـ فوق سطور هذا الكتاب ، وتحلّق فى سماء موضوعاته المشرقة . . الصافية !

الناشر


الدار المصرية اللبنانية ١٦ عبد الخالق ثروت ـ تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣ ـ فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ ص . ب ٢٠٢٢ ـ برقيا دار شادو ـ القاهرة .